أسماء الله وصفاته

تأليف الدكتور
عبد الجبار فتحي زيدان الحمداني
أستاذ اللغة العربية والنحو القراني



الطبعة الاولى :   ٢٠٢٢م –١٤٤٣هـ

دار نون للطباعة والنشر والتوزيع
الموصل-المجموعة الثقافية
الطبعة الأولى ١٤٤٣هـ=٢٠٢٢م

ملخّص الكتاب

كان المجاز مطيّة أهل اللغة والتفسير والجسر الذي عبروا منه إلى تأويل الصفات الإلهية ، والمجاز إذا كان يجوز ويصحّ في صفات البشر ، فإنَّه لا يجوز ولا يصحّ في صفات الله سبحانه ، وأنا لا أقول بهذا اتباعًا لعقيدة السلف فحسب ، وإنَّما أقول به استنادًا إلى الحقيقة والواقع ، وهو أنَّ المجاز في شيء لا يقوم إلّا على معرفة حقيقته ؛ والتعرف إليها لا بالعقل فحسب ، بل بالرؤية والمشاهدة ومعايشتها في الواقع

فالمجاز ما كان خلاف الحقيقة والواقع ، فكيف يصحّ أن نقول بالمجاز في شيء ، ونحن لا نعرف حقيقة ذلك الشيء وواقعه ؟! وكيف يصحّ لنا أن نؤول صفات الله سبحانه ، وقد قال الله عن نفسه : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِير){الشورى : ١١} ؟! فذات الله ليس كمثلها شيء ، وكذلك صفاته ليس كمثلها شيء

التمهيد

أبو الحسن الأشعري وأشاعرة اليوم

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه

وبعد فمن المعروف أنّ الشائع في أسماء الله وصفاته مذهبان ، مذهب السلف ، وهم يثبتون لله كل صفاته كما وردت في الكتاب والسنّة من غير تشبيه وتأويل ، ومذهب الأشاعرة ، وهم يثبتون سبع صفات من صفات المعاني ، ومعنى كونها صفات معان : أنّ كلّ صفة منها معنى وجودي قائم بذات الله تعالى ، وهذا الصفات هي : القدرة ، والإرادة ، والعلم ، والحياة ، والسمع ، والبصر ، والكلام ، وينفون عنه باقي الصفات كالحياء ، والغضب ، والسخط والغيظ ، والحبّ ، والعين ، واليد ، والعجب .

والأشاعرة نسبة إلى أبي الحسن الأشعري وهو عليٌّ بن إسماعيل ، أبو الحسن المتوفّى ٣٢٤هـ وهو من نسل الصحابي أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، فأبو الحسن الأشعري مؤسس مذهب الأشاعرة ، وكان من المتكلمين المجتهدين ، وُلِد في البصرة ، وتلقّى مذهب المعتزلة وتقدّم فيهم ، ثم رجع وجاهر بخلافهم وتوفّي ببغداد ، قيل : بلغت مصنفاته ثلاثمئة كتاب من بينها : الإبانة عن أصول الديانة [١]

وهو حين يثبت هذه الصفات السبع المذكورة يثبتها على أنّها صفات مخالفة لصفات البشر استنادًا إلى قوله تعالى : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ){الشورى : ١١}[٢]

([١]) ينظر : الأعلام للزركلي ٤/٢٦٣

([٢]) ينظر : أصول الدين الإسلامي للدكتور رشدي محمد عليان ، والدكتور قحطان عبد الرحمن الدوري ص ٨٨-١٢٧

ومرّت حياة أبي الحسن الأشعري الفكرية بثلاث مراحل :

المرحلة الأولى : عاش فيها في كنف زوج أمّه أبي علي الجُبّائي شيخ المعتزلة في عصره ، وتلقّى علومه حتى صار نائبه وموضع ثقته

المرحلة الثانية : ثار فيها على مذهب الاعتزال الذي كان ينافح عنه ، بعد أن اعتكف في بيته خمسة عشر يومًا يفكّر ويدرس ويستخير الله تعالى حتى اطمأنّت نفسه ، وأعلن البراءة من الاعتزال ، وخطّ لنفسه منهجًا جديدًا يلجأ فيه إلى تأويل النصوص ، وفيها اتبع طريقة عبد الله بن سعيد بن كُلّاب في إثبات الصفات السبع عن طريق العقل : الحياة والعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام ، أمّا الصفات الخبرية كالوجه واليدين والقدم والساق فتأوّلها على ما ظنّ أنّها تتفق مع أحكام العقل ، وهذه هي المرحلة التي ما زال الأشاعرة عليها

المرحلة الثالثة : إثبات الصفات جميعها لله تعالى من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تحريف ولا تبديل ولا تمثيل ، وفي هذه المرحلة كتب كتابه الإبانة عن أصول الديانة الذي عبّر فيه عن تفضيله لعقيدة السلف ومنهجهم الذي كان حامل لوائه الإمام أحمد بن حنبل ، ولم يقتصر على ذلك بل خلّف مكتبة كبيرة في الدفاع عن السنّة وشرح العقيدة تقدّر بثمانية وستين مؤلفًا ، توفي سنة ٣٢٤هـ ودفن ببغداد ، ونودي على جنازنه : اليوم مات ناصر السنّة

وقد أفصح أبو الحسن الأشعري في كتابه : الإبانة عن أصول الديانة أنّه صار على مذهب أحمد بن حنبل ، ويبدو أنّ مذهبه الذي كان عليه في المرحلة الثانية قد شاع بين الناس قبل أن يتحوّل عنه ؛ لذلك نبّه القاضي كمال الدين أبو حامد محمد بن درياس المصري الشافعي المتوفّى سنة ٦٣٩هـ في رسالته التي ذبّ فيها عن أبي الحسن الأشعري نبّه بأنّه رجع عن مذهبه الذي كان عليه في المرحلة الثانية فقال : اعلموا معشر الإخوان

بأنّ كتاب الإبانة عن أصول الديانة الذي ألّفه الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري هو الذي استقرّ عليه أمره فيما كان يعتقده ، وكلّ مقالة تُنسَب إليه الآن مما يخالف ما فيه فقد رجع عنها وتبرّأ إلى الله سبحانه وتعالى منها

وهذا مما يؤكّد نسبة كتاب الإبانة إليه ، ومما يؤكد ذلك أيضًا الذهبي المتوفّى ٧٤٨هـ في كتابه تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، وفي كتابه سير أعلام النبلاء فقد قال : رأيتُ لأبي الحسن الأشعري أربعة تواليف في الأصول يذكر فيها قواعد مذهب السلف في الصفات وقال فيها : تُمَرّ كما جاءت ، ثمّ قال : وبذلك أقول وبه أدين ، ولا تُؤوَّل

ومثل هذا قال عنه الإمام البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين المتوفّى ٤٥٨هـ في كتابه الاعتقاد ص ١٠٧

وكذلك ذكر ذلك عنه ابن عساكر المتوفّى ٥٧١هـ في كتابه تبين المفتري على الإمام أبي الحسن الأشعري

فالأشاعرة هم اليوم على ما كان عليه أبو الحسن الأشعري في المرحلة الثانية ، أي هم على العقيدة التي تحوّل عنها وتبرّأ منها

بل قد تحوّل عن هذا المذهب عددٌ من أساطين أتباعه وتبرّؤوا منه بعد أن تبيّن انحرافه عن منهج السلف الصالح منهم :

إمام الحرمين أبو المعالي الجويني المتوفّى ٤٧٨هـ وهو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني الفقيه الشافعي ، بقي على المذهب الذي كان عليه أبو الحسن الأشعري في المرحلة الثانية ، وبقي يدافع عنه نحو ثلاثين سنة غير مزاحَم ولا مدافَع فشاع ذكره في الآفاق إلّا أنّه في نهاية حياته رجع إلى مذهب السلف ، ويعضد ذلك ما ذهب إليه في كتابه غياث الأمم في التياث الظلم ، وهذا الكتاب مطبوع وهو من الكتب المشهورة والمعروفة له ، فعلى الرغم من أنّ الكتاب مخصص لعرض الفقه السياسي

الإسلامي فقد قال فيه ((والذي أذكره الآن لائقًا بمقصود هذا الكتاب أنّ الذي يحرص الإمام عليه جمع عامّة الخلق على مذهب السلف السابقين قبل أن نبغت الأهواء وزاغت الآراء وكانوا رضي الله عنهم ينهون عن التعرّض للغوامض والتعمّق في المشكلات))

وقد نقل القرطبي في شرح مسلم أنّ الجويني كان يقول لأصحابه : ((لا تشتغلوا بالكلام ، فلو عرفتُ أنّ الكلام يبلغ بي ما بلغ ما تشاغلت به))

ومن هؤلاء أيضًا أبو حامد الغزالي المتوفّى ٥٠٥هـ ، وهو محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي ، فقد بدأ حياته متصوّفًا ، واعتقد أنّه الطريق الوحيد للمعرفة ، لكنّه عاد في آخر حياته إلى منهج السلف من خلال دراسة صحيح البخاري فقد ألّف آخر حياته قبل مماته كتابه : المنقذ من الضلال ، فذمّ علم الكلام وبيّن أنّ أدلته لا تفيد اليقين وهذا ما أوضحه في كتابه المذكور : المنقذ من الضلال ، وكتاب : التفرقة بين الإيمان والزندقة ، وحرّم الخوض في علم الكلام فقال فيه : ((لو تركنا المداهنة لصرّحنا بأنّ الخوض في هذا العلم حرام))

ومن هؤلاء أيضًا الإمام الفخر الرازي المتوفّى ٦٠٦هـ وهو أبو عبد الله محمد بن عمر الحسن بن الحسين التيمي ، المعروف بابن الخطيب الفقيه الشافعي ، قال عنه صاحب وفيات الأعيان ((إنّه فريد عصره ونسيج وحده ، فاق أهل زمانه في علم الكلام والمعقولات)) إلّا أنّه أدرك عجز العقل فأوصى وصية تدلّ على حسن اعتقاده ، فقد نبّه في أواخر عمره إلى ضرورة اتّباع منهج السلف ، وأعلن أنّه أسلم المناهج بعد أن دار دورته في طرائق علم الكلام فقال : ((لقد تأملتُ الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلًا ولا تروي غليلًا ، ورأيتُ أقرب الطرق طريقة القرآن ، ثم قال في حسرة وندامة : ((ومن جرّب تجربتي عرف معرفتي)) الحموية الكبرى لابن تيمية

فمنهج السلف هو منهج محمد صلّى الله عليه وسلّم ، هو المنهج الذي كان عليه صحابته والتابعون ، هو المنهج الذي كان عليه الخلفاء الراشدون : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، رضي الله عنهم جميعًا ، وهو المنهج الذي عليه الأئمّة الأربعة ، فبين يديّ الآن كتاب مختصر تحت عنوان : اعتقاد الأئمّة الأربعة الذين عاشوا في القرن الثاني والثالث من الهجرة ، أبو حنيفة ، ومالك ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، تأليف محمد بن عبدالرحمن خميس ، يذكر المؤلف في المقدمة ((أمّا بعد فقد قمتُ ببحث موسع لنيل درجة الدكتوراه قي أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى وقد ضمنت المقدمة تلخيص عقيدة الأئمة الثلاثة : مالك والشافعي وأحمد ، وقد طلب مني بعض الفضلاء إفراد عقيدة هؤلاء الأئمة الثلاثة))

وفيما يأتي بعض ما جاء في هذا الكتاب :

قال ابن تيمية في كتابه ، الإيمان: ((لكن من رحمة الله بعباده أنّ الأئمة الذين لهم لسان صدق كالأئمة الأربعة وغيرهم كانوا ينكرون على أهل الكلام من الجهمية قولهم في القرآن والإيمان وصفات الرب وكانوا متفقين على ما كان عليه السلف)).

من أقوال أبي حنيفة المتوفّى ١٥٠هـ في العقيدة .

قوله : لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلّا به ، وكان يكره أن يقول الداعي : أسألك بحق فلان ، أو بحق أنبيائك ورسلك ، وبحق البيت الحرام والمشعر الحرام . ومن أقواله : لا يوصف الله تعالى بصفات المخلوقين ، وغضبه ورضاه صفتان من صفاته بلا كيف ، وهو قول أهل السنة والجماعة ، وهو يغضب ويرضى ، ولا يقال : غضبه عقوبته ، ورضاه ثوابه ٠٠٠ويد الله فوق أيديهم ليست كأيدي خلقه ، ووجهه ليس كوجوه خلقه ٠٠٠ ولا يقال : يده قدرته أو نعمته ؛ لأنّ فيه إبطال الصفة ، وهو قول أهل القدر والاعتزال ، وقال : من قال : لا أعرف ربّي في السماء أم في الأرض فقد

كفر ، وكذا من قال : إنّه على العرش ، ولا أدري العرش أفي السماء أم في الأرض ، ومن أقواله : ولا يكون في الدنيا ولا في الآخرة شيء إلّا بمشيئته ، وقال : الإيمان ، إقرار باللسان وتصديق بالجَنان ، والإقرار وحده لا يكون إيمانًا ، وقال : الإيمان لا يزيد ولا ينقص . يقول المؤلف: ((قوله في عدم زيادة الإيمان ونقصانه ، وقوله في الإيمان ، إنّه تصديق بالجنان وإقرار باللسان ، وإنّ العمل خارج عن حقيقة الإيمان ، قوله هذا هو الفارق بين عقيدة الإمام أبي حنيفة في الإيمان ، وبين عقيدة سائر أئمة الإسلام : مالك والشافعي وأحمد وإسحاق والبخاري وغيرهم ، والحق معهم ، وقول أبي حنيفة مجانب للصواب ، وهو مأجور في الحالين ، وقد ذكر ابن عبد البرّ وابن أبي العز ما يشعر أنّ أبا حنبفة رجع عن قوله ، والله أعلم))

من أقوال ابن مالك المتوفّى ١٧٩هـ في العقيدة:

سئل ابن مالك عن صفات الله فقال : أمروها كما كانت ، وسئل ، كيف استوى الله على العرش ، فقال : الكيف منه غير معلوم ، والاستواء منه غير مجهول ، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة ، وسئل عمن يقول : القرآن مخلوق ، فقال : إنّه زنديق فاقتلوه ، ومن أقواله : الله في السماء وعلمه في كل مكان ، إيّاكم والبدع ، قيل : يا أبا عبدالله ، وما البدع ؟ قال : أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابه والتابعون لهم بإحسان .

من أقوال الشافعي المتوفّى ٢٠٤هـ في العقيدة:

قوله : إن لله وجهًا وقدمًا وعينين وإنّه ليس بأعور ، وإن له أصبعًا ، وإنّ لله صفات لكن ليست كصفاتنا ، لقوله سبحانه : (ليس كمثله شيء) ، ومن أقواله : إذا سمعت الرجل يقول : الاسم غير المسمى أو الشيء غير الشيء فاشهد عليه بالزندقة ، وإنّ الله تعالى على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء ، وإنّ الله تعالى ينزل إلى السماء الدنيا كيف شاء ، ومن

أقواله : من حلف بالله أو باسم من أسمائه فحنث فعليه كفارة : ومن حلف بشيء غير الله فحنث فلا كفارة عليه ؛ ذلك أنّه لا يجوز الحلف إلّا بالله ، وسئل عن صفات الله فأجاب بما أجاب به أبو حنيفة ومالك ، وله أقوال أخرى كثيرة عن أهل الكلام من ذلك قوله : ما ناظرتُ أحدًا في الكلام إلّا مرة ، وأنا استغفر الله من ذلك ، وقال رحمه الله : لو أردتُ أن أضع على كل مخالف كتابًا كبيرًا لفعلتُ وليس الكلام شأني ، ولا أحب أن يُنسب إلي منه شيء .

من أقوال الإمام أحمد بن حنبل المتوفّى ٢٤١هـ :

الصلاة والزكاة والحج والبرّ من الإيمان ، والمعاصي تنقص الإيمان ، وسئل عن الإرجاء فقال : نحن نقول : الإيمان ، قول وعمل يزيد وينقص ، إذا زنى وشرب الخمر نقص إيمانه ، ومن أقواله : إنّه لا يفلح صاحب الكلام أبدًا ولا تكاد ترى أحدًا نظر في الكلام إلّا وفي قلبه دغل ولا تجالسوا أهل الكلام وإن ذبّوا عن السنة +

فهؤلاء هم الأئمّة الأربعة فقد كانوا جميعًا على مذهب السلف وعلى منهجهم في الصفات وكل مسائل العقيدة ، وجميعهم عاشوا في القرن الثاني والثالث من الهجرة ، وهي ضمن القرون الثلاثة التي أخبر عنها نبينا الكريم بأنّها خير القرون في قوله صلّى الله عليه وسلّم في الحديث المتفق عليه : خير القرون قرني ثمّ الذين يلونهم ثمّ الذين يلونهم

-**أسماء الله وصفاته والفرق بينهما** : قال ابن عثيمين : ((ولم يصحّ عن النبي صلى الله عليه وسلّم تعيين هذه الأسماء ، والحديث المروي عنه في تعيينها ضعيف...ولمّا لم يصحّ تعيينها عن النبي صلى الله عليه وسلم اختلف السلف فيه ، وروي عنهم في ذلك أنواع ، وقد جمعتُ تسعة وتسعين اسمًا مما ظهر لي من كتاب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

فمن كتاب الله :

الله	والأحد	والأعلى	والأكرم	والإله	والأول	والآخِر
والظاهر	والباطن	والبارئ	والبَرُّ	والبصير	والتوّاب	والجبّار
والحافظ	والحسيب	والحفيظ	والحفيُّ	والحقّ	والمُبين	والحكيم
والحليم	والحميد	والحيُّ	والقيّوم	والخبير	والخالق	والخلّاق
والرؤوف	والرحمن	والرحيم	والرزّاق	والرقيب	والسلام	والسميع
والشاكر	والشكور	والشهيد	والصمد	والعالم	والعزيز	والعظيم
والعفوّ	والعليم	والعليُّ	والغفّار	والغفور	والغنيُّ	والفتاح
والقادر	والقاهر	والقدّوس	والقدير	والقريب	والقويّ	والقهّار
والكبير	والكريم	واللطيف	والمؤمن	والمتعالي	والمتكبِّر	والمتين
والمجيب	والمجيد	والمحيط	والمصوِّر	والمقتدر	والمقيت	والملك
والمليك	والمَولى	والمهيمن	والنصير	والواحد	والوارث	والواسع
والودود	والوكيل	والوليُّ	والوهّاب			

ومن سنة رسوله صلى الله عليه وسلّم :

الجميل	والجواد	والحَكَم	والحَيِيّ	والربُّ	والرفيق	والسُّبُّوح
والسيّد	والشافي	والطيِّب	والقابض	والباسط	والمقدِّم	والمؤخِّر
والمُحسن	والمُعطي	والمنّان	والوِتْرُ			

هذا ما اخترناه بالتتبع واحد وثمانون اسمًا في كتاب الله تعالى ، وثمانية عشر اسمًا في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن كان عندنا تردد في إدخال الحفيّ ؛ لأنّه إنّما ورد مقيدًا في قوله تعالى : ﴿إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾{مريم : ٤٧} وكذلك (المُحسن) لأنّنا لم نطّلع على رواته في الطبراني ، وقد ذكره شيخ الإسلام من الأسماء ، ومن أسماء الله تعالى ما يكون مضافًا مثل : مالك الملك ، ذي الجلال والإكرام)) [1]

([1]) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى ص ١٥-١٦

وبين أسماء الله وصفاته فروق نجملها فيما يأتي :

الأول : أسماء الله ما دلّ على ذات الله مع صفات الكمال القائمة به مثل : القادر ، والعليم ، والحكيم ، والسميع ، والبصير ، فإنّ هذه الأسماء دلّت على ذات الله ، وعلى ما قام بها من القدرة ، والعلم ، والحكمة ، والسمع ، والبصر ، أمّا الصفات فهي نعوت الكمال القائمة بالذات ، كالعلم ، والحكمة ، والسمع ، والبصر ، فالاسم دلّ على أمرين ، والصفة دلّت على أمر واحد ، ويقال : الاسم متضمن للصفة ، والصفة مستلزمة للاسم .

الثاني : أنّ الأسماء يشتق منها صفات مثل الرحمن يشتقّ منها الرحمة ، أمّا الصفات فلا يشتق منها أسماء ، مثل صفة الاستواء ، فلا يقال : إنّ من أسماء الله المستوي ، فتُشتَق من أسماء الله : الرحيم ، والقادر ، والعظيم ، صفات الرحمة ، والقدرة ، والعظمة ، لكن لا تُشتَق من صفات الله : الإرادة ، والمجيء ، والمكر ، اسم المريد ، والجائي ، والماكر .

الثالث : أنّ أسماء الله لا تُشتق من أفعاله ، فلا يُشتق من كونه يحبّ ، ويكره ، ويغضب ، اسم المحبّ ، والكاره ، والغاضب ، أمّا صفاته فإنّها تُشتق من أفعاله ، فتثبت له صفة المحبة ، والكره ، والغضب ، ونحو ذلك من الأفعال .

الرابع : أنّ أسماء الله وصفاته تشترك في جواز الاستعاذة ، والحلف بها ، لكن تختلف في التعبيد وفي الدعاء ، فيُتعبَّد الله بأسمائه ، ولا يُتعبَّد بصفاته مثل : عبد الكريم ، ولا يجوز عبد الكرم ، كما أنّه يُدعى الله عز وجل بأسمائه : يا كريم ، ولا يجوز : يا كرم[1]

---

(1) ينظر : كتب العقيدة ، منها على سبيل المثال : القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى ، للشيخ محمد بن صالح العثيمين

وفيما يأتي أشهر الصفات التي أثبتها الله لنفسه في كتابه ، أو أثبتها له رسوله صلّى الله عليه وسلّم ، في سنته ، وأنكرها ونفاها أكثر أهل التفسير غفر الله لهم وعفا عنهم :

١-**الحياء** : رجّح الطبري تأويل الاستحياء المنسوب إلى الله سبحانه بالخشية فقال : ((فمعنى قوله إذن : (إنَّ اللهَ لا يَسْتَحْيِي أن يَضْرِبَ مَثَلًا ما) {البقرة : ٢٦} إنّ الله لا يخشى أن يصف شبهًا لما شبّه به)) [١] وقال ابن عطية : ((وقال غيره : معناه : يترك ، وهذا هو الأولى)) [٢] وقد التجؤوا إلى هذا التأويل لأنّ الحياء كما قال الراغب ((انقباض النفس٠٠٠ وقال الله تعالى : (وَاللّه لا يَسْتَحْيي مِنَ الحقِّ){الأحزاب : ٥٣) وروي : إنّ الله تعالى يستحيي من ذي الشيبة المسلم أن يعذبه ، فليس يراد انقباض النفس ؛ إذ هو منزّه عن الوصف بذلك ، وإنّما المراد به ترك تعذيبه ، وعلى ما روي : إنّ الله حيِّيٌ ، أي : تارك للقبائح فاعل للمحاسن))[٣] فـ((قوله تعالى : (إنَّ اللهَ لا يَسْتَحْيِي أن يَضْرِبَ مَثَلًا ما) لا يترك واستحياء الله كراهته للشيء وتركه إياه٠٠٠والاستحياء تغير وانكسار يعتري المستحي والله تعالى منزّه عن ذلك فكان مجازه كما ذكرنا))[٤]

وقال الزمخشري : ((والحياء تغير وانكسار يعتري الإنسان من تخوف ما يعاب به ويُذمّ٠٠٠فإن قلتَ : كيف جاز وصف القديم سبحانه به ، ولا يجوز عليه التغير والخوف والذمّ ، وذلك في حديث سلمان قال : قال

([١]) جامع البيان ٢٠٦/١

([٢]) المحرر الوجيز ١١٠/١

([٣]) المفردات في غريب القرآن ص ١٤٥-١٤٦

([٤]) عمدة الحفاظ للحلبي ٤٧٩/١

رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، إنّ الله حيي كريم يستحيي إذا رفع إليه العبد يديه أن يردهما صفرًا ، حتى يضع فيهما خيرًا ، قلتُ هو جار على سبيل التمثيل مثل تركه تخييب العبد٠٠٠وكذلك (إنَّ اللهَ لا يَسْتَحْيِي) أي : لا يترك))[١]

وقال ابن عاشور : ((والاستحياء والحياء واحد ، فالسين والتاء فيه للمبالغة مثل استقدم واستأخر واستجاب ، وهو انقباض النفس من صدور فعل٠٠٠فهو هيئة تعرض للنفس ، هي من قبيل الانفعال يظهر أثرها على الوجه)) [٢]

وابن عاشور بعد أن عرّف الاستحياء بهذا التعريف الذي لا يصحّ وصف الله به ، فإنّه بدلًا من أن يؤول الاستحياء المنسوب إليه نفاه عنه مطلقًا حقيقة ومجازًا فقال : ((والاستحياء هنا منفي عن أن يكون وصفًا لله تعالى ، فلا يحتاج إلى تأويل في صحة إسناده إلى الله)) [٣]

وصفوة ما تقدم ذكره أنّ الاستحياء في قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾{البقرة : ٢٦} ((استعماله هنا في حق الله تعالى مجاز عن الترك وقيل مجاز عن الخشية)) [٤]

وتأويل أهل اللغة والتفسير استحياء الله بالخشية أو الترك غير مقبول وغير جائز لما يأتي :

([١]) الكشاف ١/١١٧-١١٨ وينظر : الوسيط للواحدي ١/١٠٧-١٠٨ وأنوار التنزيل ١/٦٢ ومدارك التنزيل ص ٤٠ وزاد المسير ١/٤٦ والجامع لأحكام القرآن ١/١٩٥

([٢]) التحرير والتنوير ١/٣٥٦

([٣]) التحرير والتنوير ١/٣٥٦

([٤]) اللباب ١/٤٦٠

١-حين تعللوا بتأويل الاستحياء المنسوب إلى الله تعالى بالخشية ؛ لأنّ الاستحياء لا يصح أن يتصف به الله سبحانه ، فكذلك الخشية لا يصح أن يتصف بها الله سبحانه .

٢-إذا كان الله سبحانه أراد من قوله تعالى : (إِنَّ اللهَ لا يَسْتَحْيِي) معنى : إنّ الله لا يترك ، فلِمَ لم يستعمل سبحانه لفظ الترك بدلًا من لفظ الاستحياء ؟!

٣-إذا كان الاستحياء لا يصح أن يُنسَب إلى الله ، سبحانه ، فلماذا نسبه الله إليه ؟!

٤-هناك صفات مشتركة بين الله سبحانه وتعالى وبين الإنسان ، من ذلك مثلًا أنّ الله سبحانه وصف نفسه بالرأفة والرحمة فقال تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾{النحل : ٧} وكذلك وصف رسوله بهاتين الصفتين باللفظ نفسه فقال تعالى : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾{التوبة : ١٢٨} والصفات والألفاظ المشتركة بين الله سبحانه والإنسان كثيرة ، فلو نفينا هذه الصفات عن الله جلّ وعلا بحجة أنّ الحالات التي تصاحب هذه الصفات حين صدورها من الإنسان لا تليق بالله ، لعطّلنا بذلك كلّ الصفات الإلهية ، وهذه الحجة متأتّية من تشبيههم الله سبحانه بالإنسان ، قال ابن عثيمين رحمه الله : ((إنّنا نشاهد في المخلوقات ما يتفق في الأسماء ، ويختلف في الحقيقة والكيفية ، فنشاهد أنّ للإنسان يدًا ليست كيد الفيل ، وله قوّة ليست كقوّة الجمل مع الاتفاق في الاسم ، فهذه يد وهذه يد ، وهذه قوّة وهذه قوّة وبينهما تباين في الحقيقة والوصف ، فعلم بذلك أنّ الاتفاق في الاسم لا يلزم منه الاتفاق في الحقيقة))[1] وقال : ((إن أهل التعطيل لم يصرفوا نصوص الصفات عن

([1]) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى ص ٢٦-٢٧

ظاهرها إلّا حيث اعتقدوا أنّه مستلزم أو موهم لتشبيه الله بخلقه ، وتشبيه الله تعالى بخلقه كفر ؛ لأنّه تكذيب لقوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾{الشورى : ١١} قال نعيم بن حماد الخزاعي أحد مشايخ البخاري رحمهما الله : مَن شبّه الله بخلقه فقد كفر ، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر ، وليس ما وصف الله به نفسه ، ولا رسوله تشبيهًا)) [١] وقال : ((علم مما سبق : أنّ كلّ معطِّل ممثِّل ، وكلّ ممثِّل معطِّل ، أمّا تعطيل المعطِّل فظاهر ، وأمّا تمثيله فلأنّه إنّما عطّل لاعتقاده أنّ إثبات الصفات يستلزم التشبيه فمثَّلَ أولًا ، وعطّل ثانيًا ، كما أنّه بتعطيله مثَّله بالناقص)) [٢] فنحن نثبت صفات الله سبحانه كما جاءت في القرآن الكريم والسنة النبوية ، لكن من غير تشبيه ولا تكييف

٥–والحقيقة أنّه لا حاجة في أن نعطل صفات الله بالتأويل بالحجة والعلة التي احتج وتعلل بها المتأولون ، لأنّ الكيفية تختلف وإن كان اللفظ مشتركًا والمصطلح واحدًا ، وكأنّهم لم يقرؤوا قوله تعالى : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِير){الشورى : ١١} فليس مثل ذات الله ذات ، ولا تشبه صفاته صفات .

فالصحيح أنّه لا مجاز ولا تأويل في صفة الاستحياء خاصة ، وفي صفات الله عامّة ، وهذا ما قد صرّح به بعض المفسرين ، فقد قال ابن الجوزي ((والحياء بالمدّ : الانقباض والاحتشام غير أن صفات الله عز وجلّ لا يطلع لها على ماهية ، وإنّما تُمَرّ كما جاءت)) [٣]وقال الآلوسي : ((وللناس في ذلك مذهبان ، فبعض يقول بالتأويل ؛ إذ الانقباض النفساني

---

(١) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى ص ٤٣

(٢) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى ص ٤٧

(٣) زاد المسير ٤٦/١

مما لا يحوم حول حضائر قدسه سبحانه ، فالمراد بالحياء عنده الترك٠٠٠وبعضٌ ، وأنا والحمد لله منهم ، لا يقول بالتأويل ، بل يُمرّ هذا وأمثاله مما جاء عنه في الآيات والأحاديث على ما جاءت ، ويَكِلُ علمها بعد التنزيه عما في الشاهد إلى عالم الغيب والشهادة)) [١]

قال أحد الباحثين : ((الحيي : وقد ورد هذا الاسم في حديثين :

الأول : حديث يعلى بن أمّية رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم رأى رجلًا يغتسل بالبَراز بلا إزار ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثني عليه ، ثمّ قال : إنّ الله عزّ وجلّ حَييٌّ ستير يحبّ الحياء والستر ، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر[٢]

الثاني : حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : إنّ ربَّكم تبارك وتعالى حييٌّ كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردّهما صفرًا [٣]

وفي هذا الاسم الكريم دلالة على ثبوت الحياء صفة لله تعالى على ما يليق بجلاله وكماله ، وهو سبحانه في صفاته كلّها لا يماثل أحدًا من خلقه ، ولا يماثله أحد من خلقه كما قال تعالى : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ){الشورى : ١١} وقال تعالى : (هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا){مريم : ٦٥} فحياؤه سبحانه وصف يليق به ليس كحياء المخلوقين٠٠٠والقول في هذه الصفة كالقول في سائر صفات الربّ سبحانه فكما أنّا نثبت لله سبحانه علمًا لا كعلمنا ، وبصرًا لا كبصرنا ، وسمعًا لا كسمعنا ، وإرادة لا كإرادتنا ، فكذلك

([١]) روح المعاني ٢٠٨/١

([٢]) رواه أبو داود والنسائي وصحح إسناده الألباني في إرواء الغليل ٣٦٧/٧

([٣]) رواه أبو داود وابن ماجة والترمذي وينظر : صحيح الجامع ٢٦٣٨

نثبت له حياء لا كحيائنا ؛ إذ كلّ ما أثبته سبحانه لنفسه وأثبته له رسوله صلى الله عليه وسلّم حق لاريب فيه

قال ابن القيّم رحمه الله٠٠٠وقال النبيّ صلى الله عليه : إنّ الله لا يستحي من الحقّ لا تأتوا النساء في أعجازهنّ [١] وأمّا حياء الربّ تعالى من عبده فذاك نوع آخر لا تدركه الأفهام ولا تكيّفه العقول فإنّه حياء كرم وبرّ وجود وجلال فإنّه تبارك وتعالى حييٌّ كريم يستحيي من عبده إذا رفع يديه أن يردّهما صفرًا ، ويستحيي أن يعذّب ذا شيبة شابت في الإسلام ، وكان يحيى بن معاذ يقول : سبحان من يذنب عبدُه ويستحيي هو ، وفي أثر : من استحى من الله استحى اللهُ منه)) [٢]

٢-**سخط الله وغضبه وغيظه** : قال الراغب في السخط : ((السَّخَط والسُّخْطُ الغضب الشديد المقتضي للعقوبة٠٠٠وهو من الله تعالى : إنزال العقوبة قال تعالى : (لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ){المائدة : ٨٠} وقال تعالى : (أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ){آل عمران : ١٦٢})) [٣]

وقال في الغضب : ((الغضب ثوران دم القلب إرادة الانتقام٠٠٠وإذا وُصِف الله به فالمراد به الانتقام دون غيره قال تعالى : (فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ

---

(١) رواه الإمام أحمد ٢١٣/٥ وابن ماجه رقم ١٩٢٤ وصححه الألباني في إرواء الغليل رقم ٢٠٠٥

(٢) فقه الأسماء الحسنى ص ٣٤٨-٣٥٠

(٣) المفردات ص ٢٣٥وينظر : عمدة الحفّاظ ١٨٢/٢

غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ){البقرة : ٩٠}٠٠٠وقال تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم){المجادلة : ١٤}))[١]

فغضب الله عند أكثر أهل التفسير تعني عقوبته [٢] قال الطبري في تفسير قوله تعالى : (غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ){الفاتحة : ٧} ((اختُلف في صفة الغضب من الله جلّ ذكره فقال بعضهم : غضب الله على من غضب عليه من خلقه إحلال عقوبته بمن غضب عليه ، إمّا في دنياه ، وإمّا في آخرته٠٠٠

وقال بعضهم : غضب الله على من غضب عليه من عباده ذمٌّ منه لهم ولأفعالهم وشتمٌ منه لهم بالقول

وقال بعضهم : الغضب منه معنى مفهوم ، كالذي يعرف من معاني الغضب ، غير أنّه وإن كان كذلك من جهة الإثبات فمخالف معناه منه معنى ما يكون من غضب الآدميين)) [٣]

والقول الأخير هو القول الصواب أنّ الله سبحانه يغضب لكن غضبه لا يشبه غضب الآدميين . وقال الآلوسي : ((وفي الحديث : اتقوا الغضب فإنّه جمرة تتوقّد في قلب ابن آدم ألم تروا إلى انتفاخ أوداجه وحمرة عينيه ، وفي الكشاف معنى غضب الله تعالى إرادة الانتقام من العصاة وإنزال العقوبة بهم وأن يفعل بهم ما يفعل الملك إذا غضب على من تحت يده [٤] وأنا أقول

---

(١) المفردات ص ٣٧٦ وينظر : عمدة الحفّاظ ١٦٥/٣

(٢) ينظر : المحرر الوجيز لابن عطية ٧٧/١ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٢٧/١ والجواهر الحسان تفسير الثعالبي ١٧٠/١

(٣) جامع البيان ٩٣/١

(٤) الكشاف للزمخشري ٢٦/١-٢٧

كما قال سلف الأمّة هو صفة لله تعالى لائقة بجلال ذاته ، لا أعلم حقيقتها ولا كيف هي)) [١]

وقال ابن عثيمين رحمه الله في تفسير قوله تعالى : (وباءو بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ){البقرة : ٦١} ((ومن فوائد الآية إثبات صفة الغضب لله تعالى ، وغضب الله سبحانه وتعالى صفة من صفاته ، لكنّها لا تماثل صفات المخلوقين ، فنحن عندما نغضب تنتفخ الأوداج منّا ويحمرّ الوجه ، ويقف الشعر ، ويفقد الإنسان صوابه ، وهذه العوارض لا تكون في غضب الله ؛ لأنّ الله ليس كمثله شيء ، بل هو غضب يليق بالله عزّ وجلّ دالّ على كمال عظمته وسلطانه ، وإذا قلنا بهذا وسلّمنا أنّ الغضب صفة حقيقية برئت بذلك ذمتنا وصرنا حسب ما أمر الله به ورسوله ، وفسّر أهل التحريف غضب الله بانتقامه ولا يثبتونه صفة لله عزّ وجلّ وفسره آخرون بأنّه إرادة الانتقام فمعنى : (غضب اللهُ عليهم) عندهم : أراد أن ينتقم منهم)) [٢]

الغيظ : ((يدلّ على كرب يلحق الإنسانَ من غيره)) [٣] و((الغيظ أشدّ غضب ، وإذا وُصِفَ الله سبحانه به فإنّه يراد به الانتقام قال تعالى : (وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ){الشعراء : ٥٥} أي : داعون بفعلهم إلى الانتقام منهم))[٤]

فالسخط هو شدة الغضب ، والغيظ هو كرب وغمّ يلحق المرء من غيره ، هذا هو الفرق بينها عند وصف الإنسان بها ، أمّا عند وصف الله نفسه بها فقد أوّلها أهل التفسير جميعها بالانتقام أو بإرادة الانتقام ، وفي هذا

---

(١) روح المعاني ٩٨/١

(٢) الكنز الثمين تفسير ابن عثيمين ١٩٨/١-١٩٩

(٣) مقاييس اللغة ٧٠٣

(٤) المفردات ص ٣٨٣ وينظر : عمدة الحفّاظ ١٨٩/٣

التأويل تعطيل لصفات الله ، والدليل على أنّ إرادة الانتقام من الله هي غير سخطه وغضبه وغيظه : ((قوله تعالى : (فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ){الزخرف : ٥٥} (آسَفُونَا) بمعنى أغضبونا (انتَقَمْنَا مِنْهُمْ) فجعل الانتقام بعد وجود الغضب ، وهذا يدلُّ على أنّ هذا ليس هو هذا)) [١]

٣–حبّ الله لعبده وحبّ العبد لله : قال الراغب : ((وقوله تعالى : (فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ){المائدة : ٥٤} فمحبَّة الله تعالى للعبد إنعامه عليه ، ومحبة العبد له طلب الزلفى لديه٠٠٠وقوله تعالى : (إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ){البقرة : ٢٢٢} أي : يثيبهم ، وينعم عليهم))[٢]

وقال النسفي في تفسير قوله تعالى : (((يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ)){المائدة : ٥٤} يرضى أعمالهم ويثني عليهم بها ويطيعونه ويؤثرون رضاه)) [٣] وقال في تفسير قوله تعالى : (((قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ){آل عمران : ٣١} محبة العبد لله إيثار طاعته على غير ذلك ، ومحبّة الله العبد أن يرضى عنه)) [٤]

فقد جعلوا محبة العبد لله طاعته ، والطاعة غير الحبّ ، ومما يفرِّق بينهما أنَّ الطاعة قد تكون عن خوف ، أو عن إكراه ، والحبُّ لا يكون عن هذا ، ولا عن ذاك ، والطاعة تكون من الأدنى للأعلى ، والحبّ لا يُشترط فيه ذلك ، والفرق الأساسيّ بينهما أنَّ الطاعة عمل ظاهر ، والحبُّ شعور

---

(١) تفسير ابن عثيمين ٤٢٣/٣

(٢) المفردات ص ١١٠وينظر : عمدة الحفاظ ٣٦٣/١–٣٦٥

(٣) مدارك التنزيل تفسير النسفي ص ٢٩٠

(٤) مدارك التنزيل تفسير النسفي ص ١٥٦

نفسي غير ظاهر ؛ لذلك تُتَّخذ الطاعة والاتباع علامة على وجوده ، قال الآلوسي في تفسير قوله تعالى : ((وَيُحِبُّونَهُ) أي : يميلون إليه جلَّ شأنه ميلًا صادقًا فيطيعونه في امتثال أوامره واجتناب مناهيه)) [١] فتكون هذه الطاعة دليلًا على ذلك الميل الصادق ، كما قال تعالى : (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي) فكلٌّ من الحُبّ والطاعة معلومة دلالته ، ومعروف معناه ، فالفرق بينهما ظاهر ، فجَعْلُ الحبّ بمعنى الطاعة تحريف ظاهر

بل حبّ العبد لله لا علاقة له بالطاعة فقد روى البخاري عن عمر بن الخطّاب أنّ رجلًا كان على عهد النبيّ صلى الله عليه وسلّم كان اسمه عبد الله ، وكان يُلَقَّب حمارًا وكان يُضحك رسولَ الله ، صلّى الله عليه وسلّم ، وكان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قد جلده في الشراب (شرب الخمر) فأُوتيَ به فجُلِدَ فقال رجل : اللهمّ العنه ما أكثر ما يُؤتَى به ! فقال النبيّ صلى الله عليه وسلّم : لا تلعنوه فوالله ما علمتُ إلّا أنّه يحبّ اللهَ ورسولَه[٢] وفي رواية قال صلّى الله عليه وسلّم لمن لعنه : لا تلعنه فإنّه يحب اللهَ ورسولَه ، فهذا الرجل كان يكثر من شرب الخمر فيُجلَد في كلّ مرّة ، حتى كثر ما يُؤتي به لجلده على شربه الخمر ، لكن مع ذلك شهد له الرسول صلّى الله عليه بأنّه يحبّ اللهَ ورسولَه

وجعلوا محبة الله لعبده رضاه عنه والفرق ظاهر بين الحبّ والرضا حتى إنِّي لم أجد في كتب اللغة من عرَّف أحدهما بالآخر ، أو جعله بمعناه ، فما الداعي إذن في جعل حب الله لعباده بمعنى رضاه عنهم أو إثابته لهم إلّا التعمد في تعطيل صفات الله بهذا التأويل ؟! ولو أنَّه سبحانه وتعالى أراد الإنعام أو الإثابة أو الرضا في هذه الآيات لاستعمل ألفاظها ، كما استعمل

(١) روح المعاني ٣٢٩/٣

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٩٥/١٢

لفظ الإنعام لمَّا أراد معناه في قوله تعالى : (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ){الفاتحة : ٧} وقوله تعالى : (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ){البقرة : ٤٠} وقوله تعالى : (وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ){الإسراء : ٨٣} وقوله تعالى : (وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ){الأحزاب : ٣٧} وكما استعمل الإثابة لمَّا أراد معناها في قوله تعالى : (فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا){الفتح : ١٨} وقوله تعالى (فَأَثَابَهُمُ اللّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاء الْمُحْسِنِينَ){المائدة : ٨٥} وكما استعمل الرضا لمَّا أراد معناه في قوله تعالى : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا){المائدة : ٣} وقوله تعالى : (يَوْمَئِذٍ لا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا){طه : ١٠٩} وقوله تعالى : (رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ){المائدة : ١١٩} وقوله تعالى : (وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ){التوبة : ١٠٠}

قال ابن عثيمين رحمه الله في تفسير قوله تعالى : (فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ){المائدة : ٥٤} ((إنّ الله سيأتي بقوم هذه صفاتهم يحبّهم ويحبّونه ، فما معنى المحبّة ؟! المحبّة هي المحبّة ولا يمكن اان نعرّفها بأوضح من لفظها وهكذا جميع الأشياء الانفعالية لا يمكن أن نحدّها بأفضل من لفظها ، لو قلتَ : ما الغضب ؟ الغضب هو الغضب وقد ذكر ابن القيّم رحمه الله في الكتاب المنسوب إليه وهو روضة المحبّين ذكر للمحبّة أسماء كثيرة يعني تعريفات كثيرة ، لكنّه قال : كلّها لا تصحّ كلّها تفسير لها بلوازمها أو آثارهما أو ما أشبه ذلك (يُحِبُّهُمْ) هو سبحانه وتعالى (وَيُحِبُّونَهُ) لكن يجب

أن نعلم أنّ محبّة الله تخالف محبّة الإنسان في أسبابها وآثارها وكيفيتها ؛ لأنّ تعالى يقول : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ){الشورى : ١١})) [١]

وقال في تفسير قوله تعالى : ((وَأَحْسِنُوا ۛ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ){البقرة : ١٩٥} ((من فوائد الآية٠٠٠إثبات المحبّة لله عزّ وجلّ لقوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) وهي محبّة حقيقية على ظاهرها ، وليس المراد بها الثواب ولا إرادة الثواب خلافًا للأشاعرة وغيرهم من أهل التحريف الذي يحرّفون هذا المعنى العظيم إلى معنًى لا يكون بمثابته ؛ فإنّ مجرّد الإرادة ليست بشيء بالنسبة للمحبّة ، وشبهتهم أنّ المحبّة إنّما تكون بين شيئين متناسبين ، وهذا التعليل باطل ، ومخالف للنصّ ولإجماع السلف ومنقوض بما ثبت بالسمع والحسّ من أنّ المحبّة قد تكون بين شيئين غير متناسبين فقد أثبت النبيّ صلى الله عليه وسلّم أنّ أُحدًا ، وهو حصًى ، جبل يحبّنا ونحبّه ، والإنسان يجد أنّ دابّته تحبّه وهو يحبّها ، فالبعير إذا سمعت صوت صاحبها حنّتْ إليه وأنت إليه ، وكذلك غيره من المواشي ، والإنسان يجد أنّه يحبّ نوعًا من ماله أكثر من النوع الآخر)) [٢]

فجعل الحبّ المضاف إلى الله سبحانه بمعنى الإثابة أو الإنعام أو الرضا أو بأيّ معنى آخر يعني نفي صفة أثبتها الله جلّ جلاله لنفسه في هذه الآيات ونحوها ، إنَّه يعني نفي وجود صفة الحبّ عند الله سبحانه ، وقد قال الفيروزآبادي في تعريف الحبّ والمحبة بأنَّه ((لا يُحدُّ المحبة بحدٍّ أوضح منها ، والحدود لا تزيدها إلّا خفاء وجفاء ، فحدّها وجودها ، ولا توصف المحبَّة بوصف أظهر من المحبّة ، وإنَّما يتكلم الناس في أسبابها ، وموجباتها

(١) الكنز الثمين / تفسير ابن عثيمين ٣١٨/٥

(٢) الكنز الثمين / تفسير ابن عثيمين ٥٩٠/١-٥٩١

، وعلاماتها ، وشواهدها ، وثمراتها ، وأحكامها ، فحدودهم ورسومهم دارت على هذه الستة)) [1]

فالحبّ هذا الذي ما أسماه ! الذي خلقه الله ومنحه لكل الناس ، أنثبته للناس وننفيه عن ربِّ الناس ؟! يا ويلكم كيف تحكمون ؟ !

فجعْلُ كل حبّ مضاف إلى الله سبحانه بمعنى الرضا لا يدخل في باب تحريف دلالة اللفظ القرآني فحسب ، بل يدخل أيضًا في باب تعطيل صفة من صفات البارئ عز وجل ، عن طريق التأويل ، فيقع صاحبه في محذور خطر ، وهو المساس بالركن الثالث من أركان التوحيد ، الذي هو توحيد الأسماء والصفات ، الذي يأتي بعد توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية ، فيجب التحرز من تفسير كل صفة نسبها الله إليه بغير معناها الظاهر ؛ لذلك فسَّر الآلوسي قوله تعالى : (فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ){المائدة : ٥٤} (((بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ) محبَّة تليق بشأنه تعالى على المعنى الذي أراده)) [2]

٤-**عين الله** : نفى أكثر أهل التفسير أن تكون لله عين وأوّلوا كلّ ما جاء من ذلك في القرآن الكريم بالحفظ والعناية فقالوا في قوله تعالى : (وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي){طه : ٣٩} أي : لتربّى وأنا حافظ لك ، فاستعير ذلك في شدة الحفظ لما فيه من الدلالة على صدق العناية ، ومنه قوله تعالى : (تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا){القمر :١٤ } أي : تجري في أمن وحفظ [3]

هذا هو التأويل الذي قال به جمهور أهل اللغة والتفسير ، في العين المضافة إلى البارئ عز وجل وقد جاءت في خمسة مواضع هي : قول الله

---

(١) بصائر ذوي التمييز ٤١٦/٢

(٢) روح المعاني ٣٢٩/٣

(٣) ينظر : المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ٣٦٩ وعمدة الحفاظ للحلبي ١٤٨/٣ وبصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي ٥/٤.

تعالى : (وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا){هود : ٣٧} وقوله تعالى : (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي){طه : ٣٩} وقوله تعالى : (فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا){المؤمنون : ٢٧} وقوله تعالى : (وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا){الطور : ٤٨} وقوله تعالى : (تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا){القمر : ١٤}

ولكون العين المنسوبة إلى البارئ عز وجل تمثل صفة من صفاته ، فقد اختلف أهل التأويل في تأويلها ، فقد قيل في قوله تعالى في سورة هود : (وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا) الأقوال الآتية :

١-(وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا) أي : بعين الله ، فجعل الجمع بمعنى المفرد ، أو أراد من الجمع معنى التعظيم ، وقيل أراد من الأعين الملائكة ، والمعنى : بملائكتنا الذين جعلناهم عيونًا على مواضع حفظك ومعونتك فيكون المراد من الجمع التكثير ، وقيل أراد من الجمع المثنى ، فقوله تعالى : (بِأَعْيُنِنَا) معناه : بعينينا

٢-(بِأَعْيُنِنَا) أي : بإبصارنا إليك .

٣-(بِأَعْيُنِنَا) بمرأى منّا ، أي : بحفظنا إيّاك حفظ من يراك ويملك دفع السوء عنك .

٤-(بِأَعْيُنِنَا) أي : بعلمنا [1].

---

(١) ينظر : جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري ٤٢/١٢ ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤١/٣ والوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي ٥٧٢/٢ وزاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٧٨/٤ واللباب في علوم الكتاب لابن عادل الدمشقي ٤٨٢/١٠ وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للآلوسي ٢٤٨/٦ والتحرير والتنوير لابن عاشور ٢٥٥/١١.

وكذلك اختلف على هذا النحو في تفسير العين في سورة طه ، فقيل في قوله تعالى : (وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي) الأقوال الآتية :

١-لتُربَّى وتُغذَّى ويُحسن إليك على ما أحبّ وأريد ، وأنا مراعيك وراقبك كما يراعي الرجل الشيء بعينيه إذا اعتنى به ، وتقول للصانع : اصنع هذا على عيني أنظر إليك لئلّا تخالف به عن مرادي وبغيتي .

٢- لتُربَّى على علم مني ، ولمَّا كان العالم بالشيء يحرسه من الآفات ، أطلق لفظ العين على العلم لاشتباههما من هذا الوجه .

٣-بمرأى مني ، ولكن لا يكون ذلك تخصيصًا لموسى عليه السلام فإنَّ جميع الأشياء بمرأى من الله سبحانه ، على أنَّه قد يقال : هذا الاختصاص للتشريف كاختصاص عيسى بكلمة الله (كُنْ فَيَكونْ) ، والكعبة ببيت الله ، مع أنَّ الكل موجود بهذه الكلمة ، وكل البيوت بيت الله [١]

وقد ثبت في الحديث الصحيح أنَّ لله عينين ، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فأثنى عليه بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال : إنِي لأنذركموه ، وما من نبي إلّا وقد أنذره قومه ، ولكني سأقول لكم فيه قولًا لم يقله نبي لقومه : إنَّه أعور ، وإنَّ الله ليس بأعور . رواه البخاري [٢] وفي رواية : وإنَّ ربكم ليس بأعور [٣]

ولا تعارض بين السنّة التي بيَّنت أنَ لله عينين وبين ما جاء في القرآن الكريم الذي جاء فيه كما تقدم لفظ العين وهي مضافة إلى الله سبحانه

(١) ينظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ص ١٦٦ ومعاني القرآن وإعرابه ٢٩٠/٣والوسيط في تفسير القرآن المجيد ٢٠٦/٣ والكشاف للزمخشري ٦٢/٣ واللباب في علوم الكتاب ٢٣٨/١٣-٢٣٩ وروح المعاني ٥٠٣/٨ والتحرير والتنوير ١١٩/١٦.

(٢) صحيح البخاري ص ١٧٣٠ رقم الحديث ١١٢٧.

(٣) ينظر : مجمع الزوائد لابن طاهر المالكي المغربي ص ٥٧٧.

بصيغة المفرد في موضع وبصيغة الجمع في عدة مواضع ، لأنَّ من أساليب العرب التعبير عن التثنية بصيغة الإفراد والجمع عند أمن اللبس ، فـ((كل جزأين أضيفا إلى كُلَّيْهِما لفظًا أو تقديرًا ، وكانا مفردين من صاحبيهما جاز فيهما ثلاثة أوجه : الأحسن الجمع ، ويليه الإفراد عند بعضهم ، ويليه التثنية ، وقال بعضهم : الأحسن الجمع ثم التثنية ثم الإفراد ، نحو : قطعتُ رؤوس الكبشين ، ورأس الكبشين ، ورأسي الكبشَينِ ... لو قلتَ : قبضتُ دراهمكما تعني : درهميكما لم يجز لِلَّبس ، فلو أمن لجاز ، كقوله : اضرباه بأسيافكما ... وإنَّما اختير الجمع على التثنية ، وإن كانت الأصل لاستثقال توالي تثنيتين ، وكان الجمع أولى من المفرد لمشاركة التثنية في الضم ، وبعده المفرد لعدم الثقل)) [1] ومن شواهد ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى : (إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا){التحريم : ٤} فلم يقل : فقد صغا قلباكما ، بل قلوبكما ، فذكر الجمع وأراد التثنية ، وكذلك العين المضافة إلى الله سبحانه جاءت مفردة وجمعًا وأريد في كليهما التثنية والله أعلم ، على أنَّه يجب التنبيه هنا على مسألة وهي وجوب عدم الخوض في تأويل صفات الله سبحانه ، لقوله تعالى : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ){الشورى : ١١} فقد نفى البارئ تعالى ذكره في هذه الآية أن يكون له شبيه أو مثيل ، وكذلك صفاته لأنَّها متعلقة بذاته ، فهو سبحانه ليس كمثله شيء ، وكذلك صفاته ليست كمثلها شيء ، لذلك عُدَّت صفات الله من المتشابه جاء في روح المعاني للآلوسي في تفسير قوله تعالى : (وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا) ((أنَّ هذا من المتشابه ... ففي الدر المنثور عند الكلام على هذه الآية أخرج

---

(1) الدر المصون ٤/٢٦٢-٢٦٣ .

البيهقي عن سفيان بن عُيينة قال : ما وصف الله تبارك وتعالى به نفسه في كتابه فقراءته تفسيره ، ليس لأحد أن يفسره بالعربية ولا بالفارسية)) [١]

٥-يد الله : قال الراغب : ((وقوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ){الفتح : ١٠} أي : نصرته ونعمته وقوّته))[٢] وقال الحلبي : ((واليد تُطلَق على العقد والعهد ، وقيل : يده فوق أيديهم في الثواب ، وقيل : في الوفاء ، وجاء في التفسير : يد الله في المنّة عليهم فوق أيديهم في الطاعة ، واليد تُعَبَّر عن القدرة والسَّعة في الإنفاق٠٠٠قوله تعالى : (وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ){المائدة : ٦٤} وهذه كناية عن بسط اليد في النفقة وقبضها ، واليد : النعمة أيضًا)) [٣]

قال الطبري وفي قوله تعالى (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ){الفتح : ١٠} وجهان من التأويل : أحدهما : يد الله فوق أيديهم عند البيعة ؛ لأنّهم كانوا يبايعون الله ببيعتهم نبيّه صلى الله عليه وسلّم والآخر : قوّة الله فوق قوّتهم))[٤] فالوجه الأول أبقى اليد على معناها من غير تأويل ، والثاني : أوّل اليد بالقوّة

وجمهور المفسرين ذهبوا مذهب الوجه الثاني وهو التأويل فأولوا اليد في قوله تعالى : (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ)((بالوفاء لهم بما وعدهم من الخير))[٥]

---

(١) الدرّ المصون ٢٤٨/٦.

(٢) المفردات ص ٥٧٦

(٣) عمدة الحفّاظ ٣٥٢/٤

(٤) ينظر : جامع البيان ٨٩/٦

(٥) تفسير مقاتل ٢٤٧/٣ وينظر : معاني القرآن للفرّاء ٣٥٢/٢

وقال الزجاج : ((ومعنى : ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ يحتمل ثلاثة أوجه : منها وجهان جاءا في التفسير ، أحدهما : يد الله في الوفاء فوق أيديهم ، وجاء أيضًا يد الله في الثواب فوق أيديهم ، والتفسير والله أعلم : يد الله في المنّة عليهم في الهداية فوق أيديهم في الطاعة)) [1]وقال الزمخشري : ((يريد أنّ يد رسول الله صلّى عليه وسلّم التي تعلو أيدي المبايعين هي يد الله ، والله تعالى منزّه عن الجوارح وعن صفات الأجسام)) [2] وقال ابن عطية الأندلسي : ((وقوله : ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ قال جمهور المتأولين : اليد بمعنى النعمة٠٠٠وقال آخرون : يد الله هنا بمعنى : قوّة الله فوق قواهم٠٠٠قال النقاش : يد الله في الثواب)) [3]

وكذلك قالوا في يد الله في قوله تعالى : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾{المائدة : ٦٤} فأوّلوا قوله تعالى : ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ بأنّها تعني : بل نعمتاه مبسوطتان ، والمراد بذلك نعمة الدنيا والآخرة ، أو النعم الظاهرة والنعم الباطنة وقالوا هذا معتقد أهل الحق أنّ الله ليس بجسم ولا جارحة ولا يشبَّه بشيء من خلقه [4]

والصحيح عدم التأويل قال الطبري : ((واختلف أهل الجدل في تأويل قوله تعالى : ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ فقال بعضهم : عُني بذلك نعمتاه

([1]) معاني القرآن وإعرابه ١٨/٥ وينظر : فتح القدير للشوكاني ٥٩/٥

([2]) الكشاف ٣٢٦/٤ وينظر : روح المعاني للآلوسي ٢٥١/١٣

([3]) اللمحرر الوجيز ١٢٩/٥

([4]) ينظر : معاني القرآن للأخفش ص ١٧١ ومعاني وإعرابه للزجّاج ١٥٣/٢ والوسيط للواحدي ٢٠٧/٢ والكشّاف للزمخشري ٦٤٣/١والبحر المحيط لأبي حيّان الأندلسي ٧١٧/٣-٧١٨ وفتح القدير للشوكاني ٧٢/٢ وروح المعاني للآلوسي ٣٤٧/٣

٠٠٠وقال آخرون منهم : عنى بذلك القوّة٠٠٠وقال آخرون منهم بل يده ملكه٠٠٠وقال آخرون منهم : بل يد الله صفة من صفاته هي يد غير أنّها ليست بجارحة كجوارح بني آدم ، قالوا : وذلك أنّ الله تعالى ذكرُه أخبر عن خصوصية آدم بما خصّه به من خلقه إيّاه بيده (بقوله تعالى : (قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ){ص : ٧٥})٠٠٠وإذا كان تعالى ذِكْرُه قد خصّ آدم بذكره خلقه إيّاه بيده دون غيره من عباده كان معلومًا إنّما خصّه بذلك لمعنى به فارق غيره من سائر الخلق ، قالوا : وإذا كان ذلك كذلك بطل قول من قال : معنى اليد من الله القوّة والنعمة أو الملك في هذا الموضع ، قالوا : وأخرى أنّ ذلك لو كان كما قال قال الزاعمون إنّ يد الله في قوله تعالى : (بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ) هي نعمته ، لقيل : بل يده مبسوطة ، ولم يقل : بل يداه ؛ لأنّ نعمة الله لا تُحصى بكثرة وبذلك جاء التنزيل ، بقول الله تعالى : (وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا){إبراهيم : ٣٤}

قالوا : فإن ظنّ ظانّ أنّ النعمتين بمعنى النعم الكثيرة ، فذلك منه خطأ ، وذلك أنّ العرب قد تخرج الجميع بلفظ الواحدلأداء الواحد عن جميع جنسه ، وذلك كقول الله تعالى ذِكْرُه : (وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ){العصر : ١-٢} وكقوله تعالى : (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ){الرحمن : ٢٦} وقوله تعالى : (وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا){الفرقان : ٥٥} قال : فلم يُرَدْ بالإنسان والكافر في هذه الأماكن إنسان بعينه ولا كافر مشار إليه حاضر ، بل عُنِيَ جميع الإنس وجميع الكفار٠٠٠قالوا : وخطأ في كلام العرب أن يقال : ما أكثر الدرهمين في أيدي النّاس بمعنى : ما أكثر الدراهم في أيديهم ، قالوا : وذلك أنّ الدرهم إذا ثُنِّيَ لا يؤدي إلّا عن اثنين بأعيانهما٠٠٠قالوا : ففي قوله تعالى : (بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ) مع إعلامه أنّ نعمه لا تُحصى ومع ما وصفناه من أنّه غير معقول في كلام العرب أنّ اثنين يؤدّيان عن الجميع ما ينبئ عن خطأ قول

من قال : معنى اليد في هذا الموضع : النعمة ، وصحة قول من قال : إنّ يد الله هي له صفة ، قالوا : وبذلك تظافرت الأخبار عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وقال به العلماء وأهل التأويل)) (١)

وقد نقل ابن عادل الدمشقي مذهب أهل السنة والجماعة في اليد المضافة إلى الله تعالى فقال : ((إنَّ القرآن لمَّا دلَّ على إثبات اليد لله آمنَّا بالله ، والعقل دلَّ أنَّه يمتنع أن تكون يد الله عبارة عن جسم مخصوص ، وعضو مركب من الأجزاء والأبعاض ، فأمَّا أنَّ اليد ما هي؟ وما حقيقتها؟ فقد فوَّضنا معرفتها إلى الله تعالى ، وهذه طريقة السلف)) (٢)

((وقال الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله تعالى في كتاب (الإبانة) في باب الكلام في الوجه والعينين والبصر واليدين ، وذكر الآيات في ذلك ، وردّ على المتأوّلين بكلام طويل لا يتسع هذا الموضع لحكايته مثل قوله : فإن سئلنا : أتقولون لله يدان ؟ قيل : نقول ذلك وقد دلّ عليه قوله تعالى : (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ){الفتح : ١٠} وقوله تعالى : (لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ){ص : ٧٥} وروي عن النبيّ صلى الله عليه وسلّم أنّه قال : إنّ الله خلق آدم بيده ، وخلق جنة عدن بيده ، وكتب التوراة بيده ، وغرس شجرة طوبى بيده ، وليس يجوز في لسان العرب ، ولا في عادة أهل الخطاب ، أن يقول القائل : عملتّ كذا بيدي ، ويعني به النعمة ، وإذا كان الله إنّما خاطب العرب بلغتها وما يجري في مفهومها في كلامها ، ومعقولًا في خطابها ، وكان لا يجوز فيخطاب أهل اللسان أن يقول القائل : فعلتُ بيدي ، ويعني به النعمة بطل أن يكون معنى قوله عزّ وجلّ : (بِيَدَيَّ) النعمة٠٠٠وقال الشيخ تقي الدين في (الرسالة المدنيّة : مذهب أهل الحديث ، وهم السلف من

---

(١) جامع البيان ٣٥٨/٦-٣٥٩

(٢) اللباب في علوم الكتاب ٤٢٨/٧ .

القرون الثلاثة ومن سلك سبيلهم من الخلف أنّ هذه الأحاديث تُمَّرُّ كما جاءت ويُؤمَن بها وتُصدَّق وتُصان عن تأويل يفضي إلى تعطيل ، وتكييف يفضي إلى تمثيل، وقد أطلق غير واحد ممن حكى إجماع السلف منهم الخطابي مذهب السلف أنّها تجري على ظاهره مع نفي الكيفية والتشبيه عنها ، وذلك أنّ الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات يحتذى حذوه ويتبّع فيه مثاله ، فإذا كان إثبات الذات إثبات وجود لا إثبات كيفية فكذلك إثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات كيفية)) [١]

٦-عجب الله : وردت (ما) التعجبية في القرآن الكريم بصيغة (ما أفعله) في موضعين: هما قوله تعالى: (فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ)[البقرة: ١٧٥] وقوله تعالى: (قُتِلَ الأنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ)[عبس: ١٧]

وعُرِّف التعجب بأنّه استعظام زيادة في وصف الفاعل، ويكون فيما خفي سببه ((وقد قيل: إذا ظهر السبب بطل العجب))[٢] على أنّ التعجب لا يصح صدوره من الله ، عز وجل ، لأنّه لا يعزب عن علمه شيء ، فالله يُعجب المخلوقين ولا يَعجبُ هو ، فإن ورد ما ظاهره ذلك ، صُرِف إلى المخاطَب، فيكون قوله تعالى: (فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ) معناه : أنّ الله يُعجب المؤمنين من جرأة الكفار على عمل يقربهم من النار ، أو هم ممن يستحقون أن يقال فيهم ذلك ، وكذلك قوله تعالى: (قُتِلَ الأنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ) هو ممن يُتعجّب من كفره[٣].

---

(١) محاسن التأويل للقاسمي ٤/١٨٦-١٨٧

(٢) المرتجل لابن الخشاب نص١٤٥- ١٤٦ والغرَة المخفية لابن الخبّاز ٢/ ٤٦٦.

(٣) البغداديات ص ٣٥٣ ومشكل إعراب القرآن ١/١١٧، ٢/٨٠١-٨٠٢ وشرح اللمع لابن برهان العكبري ٢/١٤٢ وزاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ١/ ١٧٧، واللباب في علل البناء والإعراب لأبي البقاء العكبري ٢/ ١٤٦ وشرح المفصل لابن يعيش ٤/٥ وشرح ألفية ابن مالك لابن الناظم ص١٨٥ وكاشف الخصاصة

أمّا معنى هذه الصيغة في القرآن الكريم فقد ذكر الفرّاء في قوله تعالى: (فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ) أن فيه وجهين، أحدهما معناه : فما الذي صبّرهم على النار؟ والآخر معناه : فما أجرأهم على النار. ورأى أنّ في قوله تعالى (قُتِلَ الأنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ) ((يكون تعجبًا ويكون: ما الذي أكفره؟)) ثم بيّن أنّه ((بهذا الوجه الآخر جاء التفسير))[١]

فقد أجاز الفرّاء أن تكون (ما) تعجبية وأجاز كذلك ان تكون استفهامية ، وجعل الوجه الثاني بتقدير: ما الذي صبّرهم؟ وما الذي أكفره؟ أي: جعل (ما) استفهامية مشوبة بالتعجب. وقد يستفاد من الاستفهام معنى التعجب[٢].

ويشعر كلام الفرّاء في وصف الوجه الثاني ، بأنّه به جاء التفسير باستحسانه ، وقد أشار إلى جواز هذين الوجهين الأخفش[٣] والطبري[٤] والنحّاس[٥] وغيرهم[٦] وذهب أبو عبيدة إلى أنّ (ما) في قوله تعالى: (فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ) استفهامية وصرح بأنّها ((ليس بتعجب)) [٧] لأنّ التعجب

عن ألفاظ الخلاصة لابن الجوزي ص٢١١ وحاشية الصبّان على شرح الأشموني ١٢/٣، ١٦.

(١) معاني القرآن ١/١٠٣، ٣/٢٣٧.

(٢) حاشية الصبّان ٣/١٧.

(٣) معاني القرآن ١/١٥٥- ١٥٦، ٢/ ٥٢٨.

(٤) جامع البيان ٢/ ٣٣٢- ٣٣٣، ٣/ ٥٤.

(٥) إعراب القرآن ٣/ ٦٢٨.

(٦) مشكل إعراب القرآن ١/ ١١٧، ٢/ ٨٠١- ٨٠٢ والتبيان في تفسير القرآن ٢/ ٩١ والكشاف ١/ ٢١٦، ٤/٧٣٤ وزاد المسير ١/ ١٧٧. والتبيان في إعراب القرآن ١/ ١٤٢، ٢/ ١٢٧٢ وفتح القدير ١/ ١٧١.

(٧) مجاز القرآن ١/ ٦٤.

لا يصحّ صدوره من الله برأيه. ويبدو أنّه رأى أيضًا ألّا[١] يكون هذا الاستفهام مرادًا به التعجب ، بل هو كما قال المبرد ((استفهام يراد به التقرير والتوبيخ))[٢] ونقل هذا الوجه القرطبي[٣] وأبو حيان[٤] وغيرهم[٥] ولم يجز الزجاج الوجه الذي يذهب إلى التعجب إلّا عند جعله ((مما يؤمر به الآدميون، أي: اعجبوا أنتم)) [٦]

وذكر الصبّان أنّ من النحاة مَن لا يجيز التعجب من صفات الله قياسًا ، فلا يقال: ما أعظمَ اللهَ! ؛ لأنّها لا تقبل الزيادة وأنّه شذّ قول العرب: ما أعظمَ اللهَ! وما أقدره! وما أجلّه! ثم بيّن أنّ المختار جواز ذلك[٧].

وردّ البصريون على الكوفيين بأنّ قول القائل: ما أعظمَ اللهَ ، هو بتقدير: شيء عظّمَ اللهَ ((وذلك الشيء ، الناس الذين يصفونه بالعظمة ، كقولك: كبّرتُ كبيرًا وعظّمتُ عظيمًا... وليس شيء يُخبر به عن الله، عز وجل ، إلّا على خلاف ما يُخبر به عن غيره في المعنى)) [٨].

ويبدو أنّ (ما) ليست استفهامية كما يذهب الكوفيون، والصحيح ما ذهب إليه سيبويه وجمهور النحاة من أنّ (ما) تعجبية

قال الراغب : ((والعجب والتعجب حالة تعرض للإنسان عند الجهل بسبب الشيء ، ولهذا قال بعض الحكماء : العجب ما لا يُعرَف سببه ، ولهذا

---

(١) ألّا : أصلها : أن لا ، أُدغمت النون باللام لفظًا ورسمًا .

(٢) المقتضب ٤/ ١٨٣.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٢/ ٣٦.

(٤) البحر المحيط ١/ ٤٩٥.

(٥) زاد المسر ١/ ١٧٧ وفتح القدير ١/ ١٧١.

(٦) معاني القرآن وإعرابه ١/ ٢٤٥، ٥/ ٢٨٤- ٢٨٥.

(٧) حاشية الصبّان ٣/ ١٦.

(٨) المقتضب ١٧٦/٤ ومجالس العلماء للزجاجي ص١٢٥-١٢٦.

قيل : لا يصحّ صدوره من الله ؛ إذ هو علّام الغيوب لا يخفى عليه شيء٠٠٠وقرأ بعضهم : (بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ){الصافات : ١٢}[1] بضم التاء وليس ذلك إضافة المتعجّب إلى نفسه في الحقيقة بل معناه أنّه مما يقال عنده : عجبتُ أو يكون : عجبتُ مستعار بمعنى أنكرتُ)) [2].

وقد مر أنّ النحاة أجازوا في (ما) في (ما أفعله) أن تكون تعجبية ، وهو اختيار جمهور النحاة ، أو استفهامية يراد بها التعجب وهو اختيار الفرّاء والكوفيين. وثمة فرق أساسي بين الوجهين ، فعند جعل (ما) تعجبية في نحو: ما أشجعَ زيدًا! يكون المعنى : أنّ زيدًا أشجعُ الناس، ونحن نعجب من عظم شجاعته ، أمّا عند جعلها في المثال نفسه استفهامية تعجبية ، فلا يكون المراد هذا المعنى بل من الجائز أن يكون أقلّ الناس شجاعة ، بل يكون المراد أن نعجب من خفاء السبب الذي جعله شجاعًا ، وقد عهدناه من قبل جبانًا ، فالذي أثار العجب في الوجه الأول عظم الصفة ، والذي أثاره في الوجه الثاني خفاء السبب المحدث للصفة ، والمراد من ذلك إنكاره وعدم الإقرار به ، ولهذا فإنّ تعريف النحاة للتعجب بأنّه يكون فيما خفي سببه ، حتى قالوا : ومن هنا قيل : إذا ظهر السبب بطل العجب ، لا ينطبق على صيغة (ما أفعله) بالمعنى الذي ذهب اليه سيبويه وجمهور النحاة بل ينطبق عليها بالمعنى الذي استحسنه الفراء ونُسبَ إلى الكوفيين ، وقد يرد هذا الوجه في غير هذه الصيغة كقوله تعالى: (قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ)[الأعراف: ١٢] وقوله تعالى: (قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا

---

(١) ((قرأ حمزة والكسائي (بَلْ عَجِبْتُ) بضم التاء وقرأ الباقون (بَلْ عَجِبْتَ) بفتح التاء٠٠٠وروي عن شريح إنكاره وأنّه قال : إنّ الله لا يعجب)) الحجة في علل القراءات السبع لأبي علي النحوي ٢٢٢/٤

(٢) المفردات ص ٣٣٤ وينظر : عمدة الحفّاظ للحلبي ٣٠/٣

خَلَقْتُ بِيَدَيَّ) [ص: ٧٥] ففي هاتين الآيتين استفهام أفاد معنى الإنكار ، والمعنى: لِمَ لَمْ تسجد ولا شيء منعك من السجود؟! وكذلك قوله تعالى: (مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ) [الانفطار: ٦] والمعنى: ما الذي دعاك إلى الاغترار به؟! ففي صلة (ما) في هذه الآيات ضمير مستتر يعود على (ما) وهو الفاعل الذي أريد إنكاره وهذا ما ذهب إليه أصحاب هذا الوجه فيكون قوله تعالى: (فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ) معناه عندهم : ما الذي دعاهم إلى الصبر على موجبات النار؟! أي: لا شيء دعاهم إلى ذلك ، وكذلك قوله تعالى: (مَا أَكْفَرَهُ) معناه : أي شيء حمل الإنسان على الكفر، مع ما يرى من الآيات الدالّة على التوحيد؟! أي: لا شيء هناك يدعوه إلى الكفر فكلّ ما حوله يدل على وجود الله ووحدانيته[١].

ففي معنى الاستفهام إنكار للفاعل ، من غير أن يكون هناك تعظيم للصفة، وليس في التعجب إنكار للفاعل ، بل فيه إثبات له وتعظيم لصفته فالله ، سبحانه، في هاتين الآيتين ما أراد ان نعجب من خفاء السبب الذي صبّر أهل النار ، وكفّر الإنسان بل أراد ، سبحانه، أن نعجب من عظم صبر أهل النار على النار ، ومن عظم كفر الإنسان بربه.

وأهل التفسير أوّلوا هذا التعجب وقالوا : ((معنى التعجب من الله أنّه يعجب المخاطَبين ويدلّهم على أنّهم قد حلّوا محلّ من يتعجب منهم)) [٢] ((كأنّه قال : اعجبوا من صبرهم)) [٣]

---

(١) مشكل إعراب القرآن ٨٠١/٢-٨٠٢ والكشاف ٧١٥/٤ وتفسير القرآن العظيم ٤٧١/٤ والإتقان في علوم القرآن ٢٨٨/٢.

(٢) الوسيط للواحدي ٢٦٠/١ وينظر : المحرر الوجيز ٢٤٢/١

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٧٧/٢ وينظر : الجواهر الحسان تفسير الثعالبي ٣٦٢/١ وروح المعاني للآلوسي ١٧٩/١

قال ابن عثيمين في تفسير قوله تعالى : (فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ)[البقرة: ١٧٥] ((وهذا التعجب يتوجّه إليه سؤالان

السؤال الأول : أهو تعجب من الله أم تعجيب منه بمعنى : أيرشدنا الله إلى أن نتعجّب ، وليس هو موصوفًا بالعجب ، أو أنّه من الله ؟

السؤال الثاني : أنّ قوله تعالى : (فَمَآ أَصْبَرَهُمْ) يقتضي أنّهم يصبرون ، ويتحمّلون مع أنّهم لا يتحمّلون ، ولا يطيقون٠٠٠

والجواب عن السؤال الأوّل : أهو تعجّب أو تعجيب ؟ فقد اختلف فيه المفسّرون فمنهم من رأى أنّه تعجّب من الله عزّ وجلّ ؛ لأنّه المتكلّم به هو الله ، والكلام يُنسَب إلى من تكلّم به ، ولا مانع من ذلك لا عقلًا ولا شرعًا ، أي : لا مانع يمنع من أنّ الله سبحانه وتعالى يعجب ، وقد ثبت لله العجب بالكتاب والسنّة ، فقال الله تعالى (بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ){الصافات : ١٢} بضمّ التاء ، وهذه القراءة سبعية ثابتة عن النبيّ صلى الله عليه وسلّم والتاء فاعل يعود على الله سبحانه وتعالى المتكلّم ، وأمّا السنة ففي الحديث الصحيح أنّه قال : عجب ربّنا من قنوط عبادة وقرب غيثه[١] وعلى هذا فالعجب لله ثابت بالكتاب والسنّة ، فلا مانع من أنّ الله يعجب من صبرهم ، فإذا قال قائل : العجب يدلّ على أنّ المتعجّب مباغَت ما تعجّب منه ، وهذا يستلزم أن لا يكون عالمًا بالأمر من قبل،وهو محال على الله

فالجواب : أنّ سبب العجب لا يختصّ بما ذكر ، بل ربّما يكون سببه الإنكار على الفاعل حيث خرج عن نظائره ، كما تقول : عجبتُ من قوم جحدوا بآيات الله مع بيانها وظهورها ، وهو بهذا المعنى قريب من معنى

---

(١) أخرجه أحمد ١١/٤ حديث رقم ١٦٢٨٨ وابن ماجة رقم ١٨١ وكلاهما بلفظ ضحك ، وأمّا لفظ (عجب ربّنا) فقد ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية وقال : حديث حسن

التوبيخ واللوم ، ومن المفسرين من قال : إنّ المراد بالعجب : التعجيب ، كأنّه قال : اعجب أيّها المخاطَب من صبرهم على النار ، وهذا وإن كان لو وجه لكنّه خلاف ظاهر الآية

وأمّا الجواب عن السؤال الثاني : وهو كيف يتعجّب من صبرهم مع أنّهم لم يصبرواعلى النار ، فقال أهل العلم : إنّهم لمّا صبروا على ما كان سببًا لها من كتمان العلم صاروا كأنّهم صبروا عليها ، مثلما يقال للرجل يفعل أشياء يُنتقَد فيها : ما أصبرك على لوم النّاس لك مع أنّه ربّما لم يلوموه أصلًا ، لكن فعل ما يقتضي اللوم ، يصير معنى (فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ) أنّهم لمّا كانوا يفعلون هذه الأفعال الموجبة للنار صاروا كأنّهم يصبرون على النّار ؛ لأنّ الجزاء من جنس العمل، كما تفيده الآيات الكثيرة ، فيُعَبَّر بالعمل عن الجزاء ؛ لأنّه سببه المترتّب عليه)) [١]

يبدو أنّ الذين نفوا صفة العجب عن الله سبحانه نفوه بحجة واهية ومردوده وهو جعلهم عجب الله كعجب الإنسان ؛ لذلك قالوا بإثبات هذه الصفة له سبحانه من طريق آخر لم يصرّحوا بها ، فقد ((قال ابن الأنباري : معنى الآية التعجب ، والله يعجب المخلوقين ، ولا يعجب هو كعجبهم)) [٢] وكلامه يفيد بجواز أن نثبت هذه الصفة له إذا جعلنا عجبه ليس كعجبنا ، كما أن قوله تعالى (بَلْ عَجِبْتُ) بضم التاء بقراءة حمزة والكسائي وهي قراءة سبعيه متواترة واضحة في إثبات صفة العجب إلى الله سبحانه لا يمكن تأويلها ، والدليل ما روي عن شريح أنّه لم يقتنع بتأويلها ، بل ذهب إلى

([١]) تفسير ابن عثيمين ١/٥٠٢-٥٠٣

([٢]) زاد المسير ١/١٥٣

إنكار هذه القراءة على الرغم من سبعيتها وتواترها [١] من أجل أن لا يثبت صفة العجب لله سبحانه

ومن ذلك ما قاله الحلبي ((وقد ورد في الحديث : عجب ربّكم من كذا وهو مؤول على معنى يليق بجلاله ، قال بعضهم : كما أُسند إليه المجيء والإتيان بمعنى يليق به لا على ما نتعارفه)) [٢]

فكما أتفق الأشاعرة وغيرهم على إثبات صفة السمع لله سمعًا لا كسمعنا وبصرًا لا كبصرنا وعلمًا لا كعلمنا كذلك نثبت له بالطريقة نفسها حياء لا كحيائنا ، وغضبًا لا كغضبنا ، وحبًّا لا كحبّنا ، وعينًا لا كعيننا ، ويدًا لا كيدنا ، وعجبًا لا كعجبنا ، وكذلك الحال في كلّ الصفات التي أثبتها الله سبحانه لنفسه وأثبتها له رسوله صلى الله عليه وسلّم حق لا ريب فيه

((قال الإمام ابن عبد البرّ في شرح الموطّأ : أهل السنّة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلّها في القرآن والسنّة ، والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز إلّا أنّهم لا يكيّفون شيئًا من ذلك۰۰۰وأمّا أهل البدع : الجهمية ، والمعتزلة ، والخوارج ، فكلّهم ينكرونها ولا يحملون شيئًا منها على الحقيقة ، ويزعمون أنّ من أقرّ بها شبّه۰۰۰وقال القاضي أبو يعلى في كتاب (إبطال التأويل) : لا يجوز ردّ هذه الأخبار ولا التشاغل بتأويلها ، والواجب حملها على ظاهرها ، وأنّها صفات الله لا تُشَبَّه بسائر الموصوفين بها من الخلق، ولا يعتقد التشبيه فيها ، ثمّ قال : ويدلُّ على إبطال التأويل أنّ الصحابة ومن بعدهم من التابعين حملوها على ظاهرها ،

---

(١) ينظر : الحجة في علل القراءات السبع لأبي علي النحوي ٢٢٢/٤

(٢) عمدة الحفّاظ ٣٠/٢

ولم يتعرّضوا لتأويلها ولا صرفها عن ظاهرها ، ولو كان التأويل سائغًا لكانوا إليه أسبق؛ لِما فيه من إزالة التشبيه ورفع الشبهة)) [١]

((ومنهجهم في هذا الباب قائم على أصلين عظيمين متينين هما : الإثبات بلا تمثيل ، والتنزيه بلا تعطيل ، فلا يمثلون صفات لله بصفات خلقه كما لا يمثلون ذاته سبحانه بذواتهم ، ولا ينفون عنه صفات كماله ونعوت جلاله الثابتة في كتابه ، وسنّة رسوله صلى الله عليه وسلّم بل يؤمنون بأنّ الله ليس كمثله شيء وهو السميع البير ٠٠٠

قال نعيم بن حمّاد: من شبّه الله بشيء من خلقه فقد كفر ، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر ، فليس فيما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلّم تشبيه)) [٢])) [٣]

وصفوة ما تقدّم ذكره أنّه يجب أن نسلَك في كلّ الصفات التي أثبتها الله لنفسه في كتابه ، وأثبتها له رسوله في سنته أن نسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح : مالك ، والأوزاعي ، والثوري ، والليث بن سعد ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه وغيرهم من أئمة المسلمين قديمًا وحديثًا ، وهو إمرار الصفات الإلهية كما جاءت من غير تكييف ، ولا تشبيه ، ولا تعطيل ، من ذلك مثلًا الاستواء على العرش صفة لله تعالى يجب الإيمان بها بلا كيف، ونكل العلم فيه إلى الله عزّ وجلّ ، وقد سأل رجل مالك بن أنس عن قوله تعالى : (الرَّحْمَـٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ){طه :٥}كيف استوى ؟ فأطرق رأسه مليًّا وعلاه الرُّحَضاء (العَرق)

---

(١) محاسن التأويل للقاسمي ١٨٥/٤

(٢) فقه الأسماء الحسنى ص ٤١

(٣) رواه الّلالكاني في شرح الاعتقاد رقم ٩٣٦

ثم قال : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب ، وما أظنّك إلّا ضالًا ، ثمّ أُمِربه فخرج[1]

تأويل صفات الله بين الحقيقة والمجاز

المجاز وتأويل الصفات : كان المجاز مطيّة أهل اللغة والتفسير والجسر الذي عبروا منه إلى تأويل الصفات الإلهية ، والمجاز إذا كان يجوز ويصحّ في صفات البشر ، فإنَّه لا يجوز ولا يصحّ في صفات الله سبحانه ، وأنا لا أقول بهذا اتباعًا لعقيدة السلف فحسب ، وإنَّما أقول به استنادًا إلى الحقيقة والواقع ، وهو أنَّ المجاز في شيء لا يقوم إلّا على معرفة حقيقته ؛ والتعرف إليها لا بالعقل فحسب ، بل بالرؤية والمشاهدة ومعايشتها في الواقع ، من ذلك مثلًا أنَّه إذا جاز حمل الآية على المجاز في قوله تعالى : (يَجْعَلُونَ أَصْابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ){البقرة : ١٩} وقوله تعالى : (وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ){نوح : ٧} وقيل : إنَّه ذكر الأصابع وأراد الأنامل ، للتعبير عن شدة وقع الصواعق على سمعهم ، كما جاء في سورة البقرة ، وللتعبير عن شدة إعراضهم كما جاء في سورة نوح ؛ لِعِلْمِنا باستحالة أن يدخل الإنسان إصبعه في أذنه ، وقد علمنا بهذه الحقيقة ، لأنَّنا نعرف ما هو الإنسان ، وحقيقة أصابعه وآذانه وأفعاله ، وقد عرفناها بالرؤية والمشاهدة والمعايشة ، لكنه لا يجوز حمل هذه القضية على المجاز المذكور ، لو كان المراد عود ضمير الجمع مثلًا على الجنِّ لا على الإنسان ، لأنَّنا لا نعرف الجنَّ ما هو ، وما حفيفته ، وكيف تكون آذانه وأصابعه ، ولا نعرف تبعًا لذلك حقيقة أفعاله ، أيستطيع مثلًا أن يدخل أصابعه في آذانه أم لا ؟ لأنّه يختلف عن الإنسان ولم نشاهده ولم نعرف كيف تكون أفعاله وتصرفاته .

---

[1] ينظر : تفسير البغوي ١٦٥/٢

فالمجاز ما كان خلاف الحقيقة والواقع ، فكيف يصحّ أن نقول بالمجاز في شيء ، ونحن لا نعرف حقيقة ذلك الشيء وواقعه ؟! وكيف يصحّ لنا أن نؤول صفات الله سبحانه ، وقد قال عن نفسه : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِير){الشورى : ١١} ؟! فذات الله ليس كمثلها شيء ، وكذلك صفاته ليس كمثلها شيء

ثَبَت المصادر والمراجع

-الإتقان في علوم القرآن ، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت : ٩١١) تحقيق محمد سالم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ٢٠١٠م

-أصول الدين الإسلامي للدكتور رشدي محمد عليّ والدكتور قحطان عبد الرحمن الدوري ، الطبعة الثانية بيروت لبنان ١٤٣٢هـ=٢٠١١م

- الأعلام، خير الدين الزركلي، الطبعة الثالثة، والطبعة الرابعة، بيروت، ١٩٧٩م.

-أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، المعروف بتفسير البيضاوي ، لناصر الدين أبي الخير ، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي (ت : ٦٩١هـ) إعداد وتقديم محمد عبد الرحمن المرعشي ، الطبعة الأولى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان (د-ت) .

-البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، (ت : ٧٤٥هـ) حقق أُصوله الدكتور عبد الرزاق المهيدي ، الطبعة الأولى ، دار إحياء التراث العربي، بيروت،١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

-بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت : ٨١٧هـ) تحقيق الأستاذ محمد علي النجار ، المكتبة العلمية ،بيروت (د-ت)

– التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر الطوسي، تحقيق: أحمد حبيب مصير العاملي وآخرون، المطبعة العلمية، النجف الأشرف، ١٩٥٧م–١٩٦٤م.

–التبيان في إعراب القران لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت:٦١٦هـ)، دار الفكر، بيروت ، ١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م.

–تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد (تفسير ابن عاشور) محمد الطاهر ابن عاشور (١٣٩٣هـ) مؤسسة التاريخ العربي ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م.

–تفسير القرآن العظيم لابن كثير (ت٧٧٤هـ) عماد الدين أبي الفداء اسماعيل الدمسقي ، علق عليه وخرَّج أحاديثه هاني الحاج ، المكتبة التوفيقية ، مصر ، القاهرة (د–ت) .

–تفسير مقاتل بن سليمان (ت : ١٥٠هـ) تحقيق أحمد فريد ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٤٢٤هـ =٢٠٠٣م .

– جامع البيان عن تأويل أي القران، لمحمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) ، ضبط وتعليق محمود شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٦هـ= ٢٠٠٦م.

– الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت :٦٧١هـ) تحقيق الدكتور حامد أحمد الطاهر ، الطبعة الأولى ، دار العلم الجديد ، القاهرة ١٤٣١هـ=٢٠١٠م .

– حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك (بدون تاريخ)

–الحجة في علل القراءات السبع ، لأبي علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي النحوي (ت : ٣٧٧هـ) تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ،

والشيخ علي محمد معوض ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٨هـ =٢٠٠٧م .

-الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (ت:٧٥٦هـ) تحقيق الأستاذ الدكتور أحمد محمد الخراط ،الطبعة الثانية ،١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

-رجوع أبي الحسن الأشعري إلى عقيدة السلف ، تأليف حماد بن محمد الأنصاري الخزرجي السعدي المتوفى ١٤١٨هـ ، الناشر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنوّرة ١٣٩٤=١٩٧٤م

-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي (ت : ١٢٧٠هـ) ، ضبطه وصححه علي عبد الباري عطية الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م .

-زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت:٥٩٧هـ) وضع حواشيه ، أحمد شمس الدين ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

- شرح الفية ابن مالك، بدر الدين بن جمال الدين بن مالك، المعروف بابن الناظم، مطبعة القدس، بيروت، ١٣١٢هـ.

-شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ لابن مالك (ت٦٧١هـ) جمال الدين أبي عبد الله محمد، تحقيق عبد الرحمن عدنان الدوري، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م .

- شرح اللمع لابن جني، ابن برهان العكبري، تحقيق: الدكتور فائز فارس، الطبعة الأولى، الكويت، ١٤٠٤هـ= ١٩٨٤م.

-شرح المفصل ، لموفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي (ت:٦٤٣هـ) وضع هوامشه وفهارسه الدكتور إميل بديع يعقوب ، الطبعة الأُولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

-صحيح البخاري ، للإمام عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت : ٢٥٦هـ) الطبعة الثالثة ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ١٤٣١هـ=٢٠١٠م .

-عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ، للشيخ أحمد بن يوسف بن عبد الدائم ، المعروف بالسمين الحلبي (ت :٧٥٦هـ) تحقيق حمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت (د-ت)

-الغرّة المخفية لابن الخباز (ت٦٣٩هـ) في شرح الدرّة الألفية لابن معط (ت٦٢٨هـ) تحقيق حامد محمد العبدلي، الطبعة الأولى، مطبعة العاني، بغداد ١٤١١هـ=١٩٩١م.

-فتح الباري شرح صحيح البخاري لان حجر العسقلاني ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، مصر

-فقه الأسماء الحسنى تأليف عبد الرزاق عبد المحسن البدر، الطبعة الثانية ، دار التوحيد للنشر ، الرياض ١٣٠=٢٠٠٩م

-القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى ، للشيخ محمد بن صالح العثيمين ، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م

-كاشف الخصاصة عن ألفاظ الخلاصة: ابن الجزري (ت٨١٣هـ)، شمس الدين أبو الخير محمد بن الخطيب، تحقيق الدكتور مصطفى النحاس، مطبعة السعادة، مصر، ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م.

-الكتاب، أو كتاب سيبويه، لأبي بشر عمرو بن عثمان (ت:١٨٠هـ) ، علق عليه ووضع حواشيه وفهارسه ، د إميل بديع يعقوب ،

الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م .

-الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري (ت:٥٣٨هـ) رتبه وضبطه وصححه ، محمد عبد السلام شاهين ، الطبعة الثالثة ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م .

-الكنز الثمين في تفسير ابن عثيمين ، الطبعة الأولى ، كتاب ناشرون ، بيروت ، لبنان ١٤٣١هـ=٢٠١٠م

- اللباب في علوم الكتاب ، لأبي جعفر عمر بن عادل الدمشقي الحنبلي المتوفى بعد سنة ٨٨٠هـ، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، الطبعة الأُولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

-اللباب في علل البناء الإعراب، أبو البقاء العكبري، تحقيق: خليل نبهان الحسون، أطروحة دكتوراه، مقدمة إلى جامعة القاهرة، قسم اللغة العربية، ١٣٩٦هـ- ١٩٧٦م.

-مجاز القرآن ، لابي عبيدة مَعْمَر بن المثنَّى التيمي (ت : ٢١١هـ) تحقيق وتعليق أحمد فريد المزيدي ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م

-مجالس العلماء للزجاجي، تحقيق عبد السلام محمد هرون، الطبعة الثانية، مطبعة المدني، مصر ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.

-مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي المصري (ت : ٨٠٧) الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ٢٠٠٩م

-محاسن التأويل تفسير القاسمي ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٢٤هـ٢٠٠٢م

-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت:٥٤٦هـ) تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

-مدارك التنزيل وحقائق التاويل ، لعبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت٧١٠هـ) اعتنى به عبد المجيد طعمة حلبي ، الطبعة الثانية ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

- المرتجل، ابن الخشاب، تحقيق: علي حيدر، منشورات دار الحكمة، دمشق، ١٣٩٢هـ= ١٩٧٢م.

- المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات، أبو علي النحوي، تحقيق: صلاح الدين عبد الله السنكاوي، مطبعة العاني، بغداد، (بدوت تاريخ).

-مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: حاتم صالح الضامن، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٣٩٥هـ= ١٩٧٥م. وطبعة أخرى، تحقيق: يس محمد السواس، الطبعة الثانية، دار المأمون للتراث، دمشق، (بدون تاريخ)

-معالم التنزيل للحسين بن مسعود البغوي (ت : ٥١٦هـ) تحقيق خالد العك ومروان سوار ، الطبعة الأولى دار المعرفة بيروت

-معاني القران ،لأبي الحسن سعيد بن مسعدة المعروف بالأخفش الأوسط (ت:٢١٥هـ) وضع حواشيه وفهارسه إبراهيم شمس الدين، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

-معاني القران ، لأبي زكريا زياد بن عبد الله الفراء (ت:٢٠٧هـ) وضع حواشيه وفهارسه، إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

- معاني القران وإعرابه ، لأبي إسحاق الزجاج إبراهيم بن السري (ت:٣١١هـ) تحقيق الدكتور عبد الجليل عبد شلبي، دار الحديث، القاهرة ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.

-المفردات ي غريب القرآن ، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت : ٥٠٢هـ) ضبطه هيثم الطعيمي ، الطبعة الأولى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٨هـ=٢٠٠٨م .

-مقاييس اللغة ، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت : ٣٩٥هـ) تحقيق أنس محمد الشامي ، دار الحديث ، القاهرة ١٤٢٩هـ=٢٠٠٨م

- مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: حاتم صالح الضامن، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٣٩٥هـ= ١٩٧٥م. وطبعة أخرى، تحقيق: يس محمد السواس، الطبعة الثانية، دار المأمون للتراث، دمشق، (بدون تاريخ).

-الموسوعة الميسّرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، إشراف وتخطيط ومراجعة الدكتور مانع بن حمّاد الجهني ، الناشر دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الخامسة ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م

- الوسيط في تفسير القران المجيد ، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت:٤٦٨هـ) تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ=١٩٩٤م.

المحتويات

السيرة العلمية

-الاسم : عبد الجبار فتحي زيدان ذنون صوفي علي .

-محل وتاريخ الولادة : الموصل/١٩٤٧م ، محلة الشفاء ، قرب دورة قاسم الخياط .

-أنهيتُ دراستي الابتدائية ، في المدرسة القحطانية ، سنة ١٩٦٢ .

-أنهيتُ دراستي المتوسطة ، في متوسطة الحرية ، سنة ١٩٦٥م .

-أنهيتُ دراستي الإعدادية ، في الإعدادية المركزية ، القسم العلمي ، سنة ١٩٦٧م

-خريج كلية التربية الملغاة / قسم اللغة العربية /جامعة بغداد ، حصلتُ على شهادة البكالوريوس في هذه الكلية بدرجة جيد جدًّا ، سنة ١٩٧٢م .

-عُيِّنتُ مدرسًا في ثانوية قيارة في ١٩٧٣/١٠/٩م ، ثم نُقلتُ بعدها إلى متوسطة كرمليس ، ثم ثانوية قره قوش ، ثم متوسطة المثنى ، فمتوسطة أبي بكر الصديق ، وبعد حصولي على شهادة الماجستير، تم نقلي إلى معهد إعداد المعلمات سنة ١٩٨٩م .

-حصلتُ على شهادة الماجستير في اللغة العربية ، بدرجة جيد جدًّا عالٍ يرسالتي الموسومة (المشاكلة بين واو الحال وواو المصاحبة في النحو العربي) بتاريخ ١٩٨٨/١٢/٢٠م جامعة الموصل / كلية الآداب ، بموجب الأمر الجامعي المرقم ٣١٩/١١/٣ في ١٩٨٩/١/٩م

-حصلت على شهادة الدكتوراه في اللغة العربية ، بدرجة امتياز ، بأطروحتي الموسومة ((ما) في القرآن الكريم /دراسة نحوية) في ١٩٩٧/٨/٢٦م ، بموجب الأمر الجامعي العدد ٢/١١/٣ع٧٢ بتاريخ ١٩٩٧/٩/١٦م

-تم نقل خدماتي إلى وزارة التعليم العالي ، وباشرتُ التدريس بكلية المعلمين في ١٩٩٧/٣/١٩م ، التي هي كلية التربية الأساسية حاليا

-كُلِّفتُ بالخطابة من لدن وزارة الأوقاف ، وكان عدد الجوامع التي صعدتُ فيها على منابرها ، خمسة عشر جامعًا ، وأول خطبة خطبتها كانت في جامع الطالب/حي الرفاعي ، في الأسابيع الأولى من افتتاحه ، سنة ١٩٨٧م ، وأكثر خطبي كانت في جامع يونس النحوي المعروف بجامع شيخ الشط ، وآخرها كانت في جامع العطاش/كوكجلي ، ثم تركتُ المنبر سنة ٢٠٠٠م

-بقيت أعمل تدريسيًّا بكلية التربية الأساسية ، جامعة الموصل ، ومحاضرًا في الدراسات العليا ، ومناقشًا ومشرفًا لرسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراه . في قسم اللغة العربية في الكلية المذكورة ، حتى أُحلتُ على التقاعد بتاريخ ٢٠١٢/٦/٥م .

-ترقيتُ إلى الأستاذية بتاريخ ٢٠١٢/٦/٣م

موبايل : ٠٧٧٠٢٠٥٠٠٥٠

فايبر : ٠٧٧٠٢٠٥٠٠٥٠

فيسبوك : البروف النحوي

للمؤلف

١-الله والتقدم المادي عند الإنسان رقم الإيداع في المكتبة الوطنية ببغداد ١٤٦ لسنة ١٩٧٧م .

٢-اغتنم شبابك في طاعة الله ، الطبعة الأولى ، مطبعة أسعد بغداد ١٤٠٥هـ =١٩٨٥م ، رقم الإيداع في المكتبة الوطنية ببغداد٢٩٩ لسنة ١٩٨٥م .

٣-فضل الصلاة وحكم تاركها في الكتاب والسنة ، أو رسالة إلى تارك الصلاة ، الطبعة الأولى ، مطبعة أسعد ، بغداد ١٩٨٥م رقم الإيداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٥٦٦ لسنة ١٩٨٦م .

وهذه الكتب الثلاثة نفدت نسخها ولم أُعد طبعها ؛ لأنَّها لم تكن وقتئذ مسجلة على قرص ، أو مخزونة في حاسبة .

٤-إعجاز القرآن الكريم . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد٨٠٢/ لسنة ٢٠٠٩م وهو كتاب منهجي كنتُ أدرِّسه لطلاب المرحلة الرابعة في قسم التربية الإسلامية / كلية التربية الأساسية / جامعة الموصل / أعددتُه حسب المنهج الذي قرّرتْه عمادة الكلية المذكورة .

٥-مواعظ إسلامية . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/٨٠٣ لسنة ٢٠٠٩م

٦-دروس إسلامية . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/٨٠٤ لسنة ٢٠٠٩م

٧-بين الماضي والحاضر / قصائد إسلامية . وهي من نظمي وشعري ، يضمّ ثماني قصائد ، رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/٨٠٥ لسنة ٢٠٠٩م وغيرت عنوانه إلى : صيحاتي بأُمّتي السبيَّة في ثماني قصائد إسلامية .

٨-المشاكلة بين واو الحال وواو المصاحبة في النحو العربي . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/٨٠٦ لسنة ٢٠٠٩م

٩-(ما) في القرآن الكريم / دراسة نحوية . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/٨٠٧ لسنة ٢٠٠٩م

١٠-دراسات في النحو القرآني . . رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق ببغداد/٨١١ لسنة ٢٠٠٩م

١١-من مزاعم النحاة . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/٨٠٨ لسنة ٢٠٠٩م

١٢-النصب على نزع الخافض والتضمين من بدع النحاة والمفسرين ، رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق ببغداد/ ١٧٣٢ لسنة ٢٠١٠م .

١٣-(ظنَّ) وأخواتها والتضمين في القرآن الكريم . وقد دمجتُ هذا الكتاب في الكتاب السابق .

١٤- الوجوه الدخيلة في كتب الوجوه والنظائر ، لفظ (الذكر) نموذجًا ، مع بحث صغير بعنوان : لغة القرآن فوق نحو النحاة رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/ ١٧٩٨ لسنة ٢٠١١م

وقد جعلتُ الموضوع الأول من هذا الكتاب ضمن أحد مواضيع التمهيد في كتابي : لا وجوه ولا نظائر ، تحت عنوان دراسة نموذجية ، وجعلتُ كلامي في الموضوع الثاني ضمن التمهيد في كتابي : من مزاعم النحاة .

١٥-لا وجوه ولا نظائر في كتب الوجوه والنظائر . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/ ٨٣٢ لسنة ٢٠١٤م

١٦-اختلاق الأوجه والمعاني في كتب حروف المعاني . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/ ٨٣٣ لسنة ٢٠١٤م

١٧-طرائق اختلاق الوجوه في كتب الوجوه . . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/ ٨٣٤ لسنة ٢٠١٤م

١٨- الأضداد في القرآن الكريم

١٩-معجم الفروق اللغوية في القرآن الكريم